





الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ مغامرة على الشاطئ ..

انطلق الصاروخ (ق ــ إى ــ ٢٠٠٠) ، من إحدى القواعد العسكرية التركية ، ليشقَّ طريقه فى السماء ، مخلِّفًا نهرًا من اللهب المتصاعد ، فى حين راح عدد من القادة العسكريين ، والخبراء يراقبون انطلاقه ، من داخل القاعدة ، بِوَساطة مناظيرهم المقرِّبة ، وهو يعبُر بحر (إيجة) ، ثم انتقلوا لمتابعة الانطلاق على الشاشات التليفزيونية ، وأحدهم يهتف فى حماس :

ــ هيًّا .. انطلق واستمر .. إنه يتجه نحو الهدف تمامًا .

قال آخر ، وهو يحدِّق فى الشاشة :

ــ سننجح هذه المرَّة ، فلقد تجاوز المرحلة التى انفجر فيها الصاروخ السابق ، وكل أجهزة توجيه سليمة ، و .....

قبل أن ينهِيَ عبارته ، انحرف الصاروخ بغتة إلى اليمين ، ثم مال بزاوية قائمة ، وانطلق إلى أعلى فى وضع رأسى ، ثم لم يلبث أن انفجر فى قوة ، وتهاوَت شظاياه فى أعماق بحر (إيجة) ..

وارتسم مزيج من الصدمة والذُّهول على الوجوه ، مع

الكثير من المرارة وخيبة الأمل ، فلم تكن هذه هى أوَّل مرَّة تفشل فيها تجارب إطلاق الصاروخ ، الذى تشارك (مصر) و (تركيا) فى إنتاجه ..

وكان من الواضح أن هذا الفشل ليس طبيعيًّا ..

وأنه متعمَّد ..

* * *

مالت الشمس إلى المغيب ، عند شاطئ أحد المصايف المصرية ، وجلس (ممدوح) يتناول طعامه فى (كازينو) يطلُّ على المشهد الرائع ، وهو يرتدى قميصًا خفيفًا ، وسروالًا قصيرًا ، وقد لوَّحت الشمس بشرته ، بعد أسبوع رائع ، قضاه فى هذا المصيف ، وَحَظِىَ فيه بقدر وافر من النشاط والحيويَّة ، وماء البحر ، وهواء الشاطئ ، فى واحدة من إجازاته القليلة ، التى تنتهى غدًا ، ليعود ويتسلَّم عمله فى المكتب رقم (١٩) ..

ولكن حتى وهو يقضى إجازته ، كان من العسير أن ينسى كَوْنَهُ أحد رجال العمليات الخاصة ، المدرَّبين على مواجهة الخطر والمفاجآت ، فى أيَّة لحظة من حياتهم ، حتى فى أثناء إجازاتهم ؛ لذا فقد كان يحتفظ دَوْمًا بمسدَّسه قريبًا منه ، وبغريزة يقظة مستمرَّة ، ورد فعل سريع ، حتى فى أشدِّ حالات الاسترخاء ..

وفى تلك اللحظة بالذات ، وهو يمضغ طعامه ، كانت عيناه تتابعان شابًّا وفتاة ، يتقاذفان كُرَة صغيرة ، فى أثناء ركضهما على رمال الشاطئ ، بالقُرب من (الكازينو) ، وكان الشاب دميمًا بعض الشىء ، فى حين كانت الفتاة تنيض فتنة وأُنوثة ..

والعجيب أن ما جذب انتباهه ليس الشاب والفتاة ، وإنما تلك الكُرَة التى يتقاذفانِها ، والتى بدت صغيرة نوعًا ، وتختلف كثيرًا عن الكُرَة المطَّاطية التقليدية ، التى يلهُو بها المصطافون عادة على الشاطئ ، وعَبْرَ مرآة صغيرة ، فى يد امرأة تجلس على المنضدة المجاورة له ، لمح (ممدوح) الشاب ، وقد توقَّف عن قذف الكُرَة إلى الفتاة ، وأمسك بالكُرَة فى حزم ، وعيناه تحملان نظرة غدر واضحة ، وهو يتجه إليه ، فى حين أسرعت الفتاة نحو موقف السيارات البعيد ..

وفجأة ، وعلى نحو أثار دهشة الجميع ، هتف (ممدوح) :

ـــ اخفضوا رءُوسكم .

جاء تحذيره فى نفس اللحظة ، التى قذف فيها الشاب الكُرَة فى اتجاهه ، ثم أسرع يعدُو مبتعدًا ، نحو موقف السيارات بدَوْرِه ..

وهنا تجلَّت أهمية رد الفعل السريع ..

لقد قفز (ممدوح) يلتقط الكرة ، قبل أن تسقط فوق مائدته ، وألقاها فى سرعة خاطفة نحو صخرة كبيرة ، تطلّ على البحر ، ودَوَّى انفجار قوى عند الصخرة ، وتعالَت صرخات رُوَّاد (الكازينو) والشاطئ ، إزاء المفاجأة ، وصحَّ توقُّع (ممدوح) ، فى أن الكرة الصغيرة ليست سوى قنبلة لقتله ، وحمد الله على ردِّ فعله السريع ، فلو انفجرت القنبلة داخل الكازينو ، لأوْدَت بحياته ، وحياة الكثيرين من الأبرياء ، وهو ما لا يحتمله تفكيره ..

وبسرعة ، أرجأ (ممدوح) التفكير فى النتائج ، وقفز من شرفة (الكازينو) القريبة ، وانطلق يعدُو عَبْرَ الطريق الأسفلتى الضيِّق ، الذى يفصل (الكازينو) عن الشاطئ ، وَوَثَبَ داخل سيارة رياضية أنيقة ، كان صاحبها يشترى بعض المثلجات ، عندما دَوَّى الانفجار ، فانبطح أرضًا وترك محرِّكها دائرًا ، والتقطت عينا (ممدوح) مشهد الشاب والفتاة ، وقد انطلقا بسيارة سريعة ، فوق الطريق الأسفلتى ، فانطلق خلفهما ، متجاهلًا قواعد المرور ، وانحرف عن الطريق الأسفلتى إلى رمال الشاطئ ، وهو يطلق نفير السيارة فى قوة ، تحذيرًا للمصطافين ، ويده تمتد إلى جيب سِرواله الخلفى ، لتلتقط منه مسدسًا صغيرًا ، وسيارته تنطلق بسرعة مدهشة ، مثيرة عاصفة من

الرمال ، حتى بلغ سيارة الشاب والفتاة ، فأطلق على إطارها رصاصتين ، ثقبتا إطاريها ، فتوقَّفت السيارة مرغمة ، فى حين واصل هو انطلاقه ، ليقطع الطريق أمامها ، وقفز من السيارة ، ليحتمى بجسدها من الشاب ، الذى غادر سيارته ، حاملًا مسدَّسًا كبيرًا ، لم تلبث رصاصة (ممدوح) أن أصابته ، وألقته بعيدًا ، فرفع الشاب ذراعيه معلنًا استسلامه فى ذُعر ، وانهارت الفتاة على عجلة القيادة ، فى حين التف المصطافون حول المشهد ، وقد تصوَّروا أنه أحد مشاهد فيلم سينمائى ، دون أن يخطر ببال أحدهم أنه حقيقة ..

حقيقة واحد من رجال المكتب رقم (١٩) ..

* * *



٢ ــ مهمَّة فى أزمير ..

عندما صعد اللواء (مراد) إلى مكتبه ، فى الطابق السابع من (إدارة العمليات الخاصة) ، كان يحمل ملفًا بُنيًّا ضخمًا ، يحمل على غلافه عبارة (وزارة الدفاع ــ سرِّى للغاية) ، ولقد أزاح اللواء (مراد) كل الأوراق الأخرى عن مكتبه ، ووضع ذلك الملف الضخم ، وانكبَّ على فحص محتوياته فى عناية واهتمام لساعة كاملة ، ضغط بعدها زرّ الاتصال بينه وبين سكرتيره ، قائلًا :

ــ صِلْنِى بإدارة التجهيزات الفنِّية ، ثم إدارة العلاقات العامة ، واستدعى المقدِّم (ممدوح) .

أجابه سكرتيره ، عَبْرَ جهاز الاتصال :

ــ كما تأمر يا سيِّدى .

أنهى اللواء (مراد) اتصالاته فى سرعة ، مع إدارتى التجهيزات الفنية والعلاقات العامة ، وعاد ينكبّ على مطالعة الملف ، حتى سطع مصباح أحمر صغير ، مثبَّت على مكتبه ، وارتفع صوت سكرتيره ، عَبْرَ جهاز الاتصال ، يقول :

ــ لقد حضر المقدِّم (ممدوح) يا سيِّدى .

اللواء (مراد) :

ــ حسنًا .. دَعْهُ يدخل ، ولا أريد أيَّة اتصالات هاتفية ، داخلية أو خارجية ، حتى ينتهى اجتماعى مع المقدِّم (ممدوح) .

واعتدل فى مجلسه ، مع دخول (ممدوح) ، الذى اتجه إلى المكتب ، وَشَدَّ قامته ، قائلًا :

ــ صباح الخير يا سيِّدى .

اللواء (مراد) :

ــ صباح الخير يا (ممدوح) .. اجلس .

جلس (ممدوح) على المقعد المواجه للواء (مراد) ، الذى أشعل سيجاره ، وهو يقول :

ــ بلغنى أنك قد تعرَّضت لمحاولة اغتيال ، على أحد شواطئ (الإسماعيلية) .

ممدوح :

ــ نعم يا سيِّدى .. إنها شقيقة الإرهابى الإيرانى (بختيار) ، الذى ألقيت القبض عليه فى الشهر الماضى ، وابن عمه .. يبدو أن جماعة (السفَّاكين) الإرهابية قد أرسلتهما للانتقام ، ولكننى ألقيت القبض عليهما ، دون خسائر تذكر .

ابتسم اللواء (مراد) ، قائلًا :

ـــ يبدو أن المغامرات تلاحقك فى كل مكان ، حتى أنها تفسد عليك إجازاتك .

ممدوح :

ـــ لست أظن هذا ينطبق على إجازتى الأخيرة يا سيِّدى ، فمن حُسن الحظ أن الارهابيِّين لم يُقْدِمَا على محاولتهما فى بداية الإجازة ، وإنما فى الساعات الأخيرة منها .

اللواء (مراد) :

ـــ حمدًا لله على نجاتك إذن .

ممدوح :

ـــ شكرًا يا سيِّدى .

بدت الجدِّية على ملامح اللواء (مراد) ، وهو يقول :

ـــ هل انتهت النيابة من استجوابك فى هذا الشأن ؟

ممدوح :

ـــ نعم .

اللواء (مراد) :

ـــ هـذا جيِّد ، لأننى أريدك أن تتفرَّغ تمـامًا لمهمَّتك الجديدة .

وضغط على زرٍّ أمامه ، فانطفأت أضواء الحجرة ، وظهرت

على الحائط خريطة مضيئة كبيرة لمنطقة حوض البحر المتوسِّط ، تميَّزت فيها (تركيا) بلون أخضر ، ومدينة (أزمير) بالذات بضوء أزرق ، واللواء (مراد) يقول ، ضاغطًا حروف كلماته :

ـــ هناك مشروع سرِّىّ مشترك ، بيننا وبين تركيا ، لإنتاج صاروخ جديد ، أطلقنا عليه اسم (تى ـــ إى ـــ ٢٠٠٠) ، وهى الحروف الأولى لكل من (تركيا) و (مصر) ، وهو صاروخ متطوِّر للغاية ، يمكنه إصابة أكثر من هدف ، فى آن واحد ، بقوَّة تدمير رهيبة ، ودقة مُذهلة فى إصابة الهدف ، ولقد استغرقت تجارب إعداده عشر سنوات من الدولتين ، دون الدخول فى تفاصيل فنية ، يجهلها كلانا ، ثم جاءت مرحلة التجارب العملية ، قبل البدء فى إنتاج الصاروخ بتوسُّع ، واختيرت (أزمير) موقعًا للتجارب ، وعلى الرغم من أن كل التجارب الأوَّلية قد أكَّدت كفاءة الصاروخ ، ودقَّته فى إصابة الهدف ، بوساطة أحدث أجهزة الكمبيوتر والتوجيه فى العالم ، إلا أن الصاروخ فشل فشلًا ذريعًا ، وانحرف عن مساره لسبب مجهول ، قبل أن ينفجر ، مما أصاب الخبراء والعسكريين بحَيْرَة بالغة ، وفجَّر الشَّكَّ فى وجود محاولات تخريب ، مما دعا إلى

إجراء فحوص فنِّية مكثَّفة على الصاروخ الثانى ، قبيل إطلاقه بثوانٍ معدودة ، وعلى نحو مباغت ، وأثبتت تلك الفحوص سلامة الصاروخ تمامًا ، ولكن الصاروخ الثانى انتهج نفس منهاج الأوَّل ، وأبدل مساره ، ثم انفجر .. وأمام الحَيْرَة الشديدة ، ورغبة مسئولى البلدين فى معرفة سرِّ مايحدث ، تقرَّر سفرك إلى (أزمير) على الفور ، لتحرِّى الأمر ، ولقد حصل لك قسم العلاقات العامة على تأشيرة الدخول وتذكرة السفر ، وسيزوِّدك قسم التجهيزات الفنية بعدد من المعدَّات ، التى قد تحتاج إليها فى مهمَّتك .

نهض (ممدوح) ، قائلًا فى حزم :

ــ سأبذل قصارى جهدى للبحث عن التفسير يا سيِّدى ، حتى ولو أدَّى ذلك إلى مصرعى .. فى (أزمير) ..

* * *



٣ ــ اللُّغز المحيِّر ..

حلَّقت الطائرة فوق جبال (تركيا) الخضراء ، ولم يتبقَّ من رحلتها سوى عشرة أميال ، تهبط بعدها فى مطار (أزمير) ، و (ممدوح) يراقب الجزر الصغيرة المتناثرة ، فى بحر (إيجة) ، وهو يتساءل عن أيها توجَّهت إليها صواريخ (تى ــ إى ــ ٢٠٠٠) ، وعن سرِّ صد تلك الجزيرة الجرداء للصواريخ الموجَّهة إليها ، حتى استقرَّت طائرته على أرض مطار (أزمير) ، وغادرها هو لينهى إجراءات دخوله فى سرعة ، حيث استقبله شاب رشيق ، أشقر الشعر ، أزرق العينين ، يرتدى زيًّا عسكريًّا ، وسأله مبتسمًا :

ــ أأنت المقدَّم (ممدوح) ؟

أجابه (ممدوح) بالإيجاب ، فأدَّى الشاب التحية العسكرية على نحو ملفت للنظر ، مما أثار استياء (ممدوح) ، والشاب يقول :

ــ ملازم أوَّل (شوكت) ، من قاعدة (أزمير) العسكرية .

ممدوح :

ـــ مرحبًا يا حضرة الملازم ، ولكن ما كان ينبغى أن تراعى القواعد العسكرية هنا ، فأنت بذلك تكشف حقيقة شخصيتى للملإ .

شعر الشاب بالحرج ، وغمغم :

ـــ آسف يا سيِّدى ، ولكن .....

قاطعه (ممدوح) ليعفيه من الحرج :

ـــ ما رأيك أن تخاطبنى بـ (ممدوح) فقط ؟ فلست أحب الرسميات ، وفارق السِّنّ بيننا ليس كبيرًا .. وما رأيك أن نذهب على الفور إلى القاعدة ؟.. ألديك سيارة ؟

أجابه (شوكت) فى سرعة ، وقد شعر بنوع من الأُلْفة تجاهه :

ـــ نعم .. إنها تنتظرنا فى الخارج .

ممدوح :

ـــ هيَّا بنا إذن .

قبل أن يغادر صالة المطار الداخلية ، لاحظ (ممدوح) شخصًا يقف فى مواجهتهما تمامًا ، وقد دسَّ سيجارته فى فمه ، وراح يدير ترس قدَّاحته عدة مرَّات ، دون أن ينطلق منها أى

لهب ، ولاحظ (ممدوح) أن الرجل لا يهتمّ بإشعال سيجارته ، بقدر ما يهتمّ بمراقبتهما فى إمعان ، وأنه لم يكد يلحظ انتباه (ممدوح) إلى ذلك ، حتى توقَّف عن المراقبة ، وهمَّ بمغادرة المكان ، لولا أن استوقفه (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ هل تسمح ؟

توقَّف الرجل فى ارتباك ، لم يلبث أن تحوَّل إلى نوع من التحفُّز ، ثم انقلب بغتة إلى دهشة بالغة ، عندما مال (ممدوح) نحوه بقدَّاحته ، وأشعل له سيجارته ، فغمغم :

ـــ أشكرك .. يبدو أن قدَّاحتى قد أصيبت بعطب مفاجئ ..

ابتسم (ممدوح) فى استخفاف ، قائلًا :

ـــ نعم .. إننى ألاحظ ذلك .

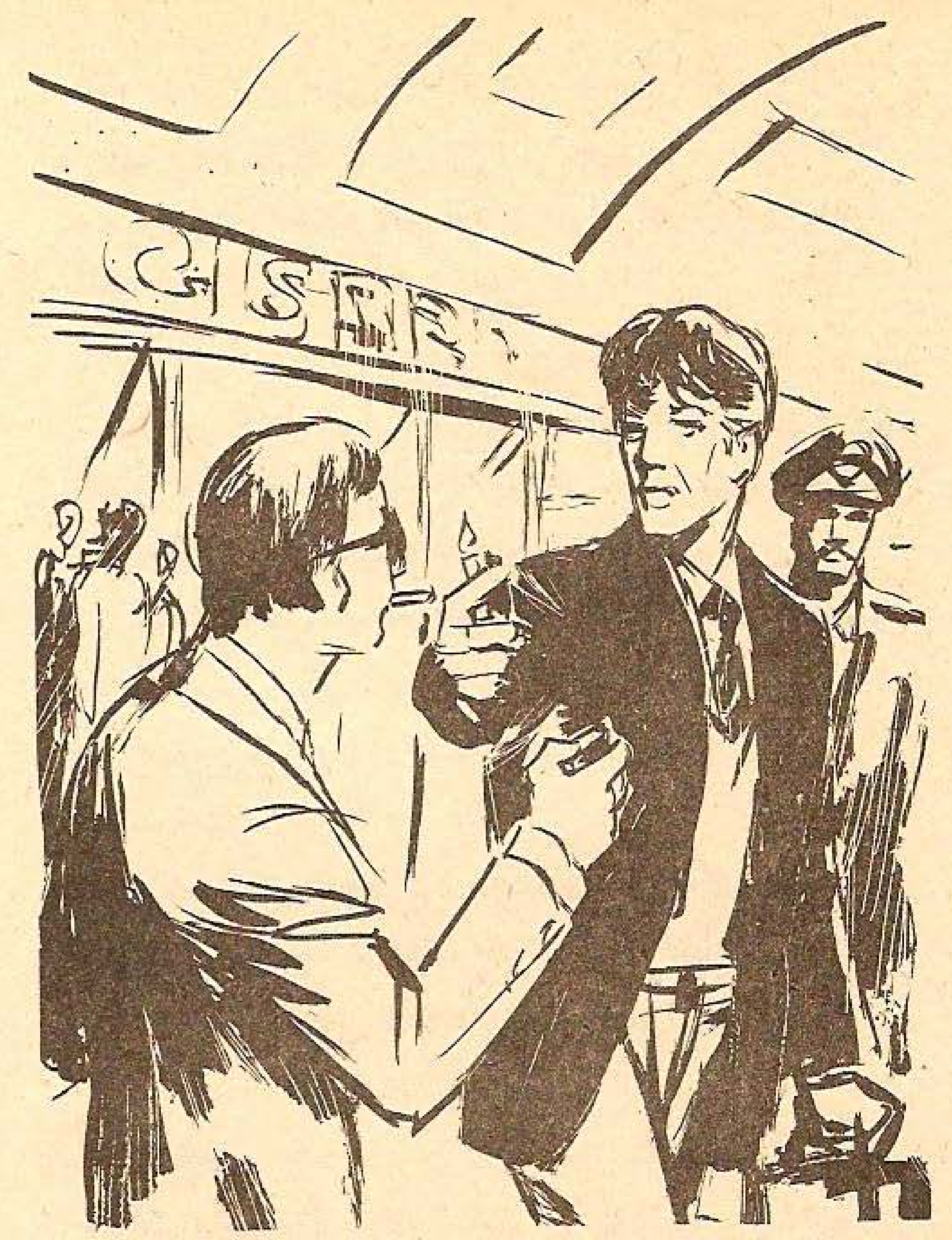
وانصرف فى هدوء مع (شوكت) ، ولم يكد يستقرّ بهما المقام فى سيارة هذا الأخير ، حتى سأله فى اهتمام :

ـــ ألديكم معمل لتحميض الميكروفيلم فى القاعدة ؟

أجابه (شوكت) :

ـــ نعم .

قال (ممدوح) ، وهو يتناول الميكروفيلم من قدَّاحته :



مال (ممدوح) نحوه بقدَّاحته ، وأشعل له سيجارته ، فغمغم :
ـ أشكرك .. يبدو أن قدَّاحتى قد أصيبت بعطب مفاجئ ..

ـ حسنًا .. أظننى سأحتاج إلى ذلك ، فأنا أريد صورة مكبَّرة لوجه ذلك الرجل ، صاحب لفافة التبغ ، الذى قابلناه فى المطار .

هتف (شوكت) فى دهشة :

ـ إذن هذه القداحة ليست سوى كاميرا !!.. لقد التقطت بها صورته ، عندما أشعلت له سيجارته .. أليس كذلك ؟!

ممدوح :

ـ نعم .. وهو بدَوْرِه كان يفعل هذا ، عندما كان يتظاهر بإشعال قدَّاحته .

شوكت :

ـ كان يلتقط صورتك ؟!.. عجبًا !!

تطلَّع (ممدوح) إلى الطريق الممتد أمامه ، قائلًا :

ـ نعم .. هذا عجيب للغاية !.. عجيب أن يهتمَّ أحدهم بحضورى على هذا النحو ، ويعمل على التقاط صور لى ، فى اللحظة التى أطأ فيها مطار (أزمير) !.. عجيب حقًّا !!

* * *

توقَّفت السيارة ، بعد ثلاث ساعات من السير المتواصل ، أمام بوَّابة معدنية ضخمة ، يسبقها عدد من الحواجز الخشبية ،

يعترض الطريق ، وغادر أحد العسكريين مكانه ، داخل الكشك المعدنى المجاور للحواجز الخشبية ، وتوجَّه نحو السيارة ، مع عدد من الجنود المسلحين ، وألقى نظرة متأنّية على راكبيها ، فابتسم له (شوكت) ، قائلًا :

ـــ أهلًا (عمر) .. أنا الملازم أوَّل (شوكت) ، وبصحبتى المقدِّم (ممدوح) ، من (مصر) .

أدَّى (عمر) التحية العسكرية ، وأمر برفع الحواجز الخشبية ، واتصل لاسلكيًّا ، لفتح البوَّابة المعدنية أمام السيارة ، التى واصلت طريقها داخل القاعدة العسكرية ، لتتوقَّف أمام مبنى كبير ، على طراز عصرى ، استنتج (ممدوح) أنه إدارة العمليات ، ولقد استقبله فيها قائد القاعدة ، مع عدد من الخبراء والفنِّيين الأتراك ، والمصريين المشرفين على إجراء التجارب الفنية للصاروخ (تى ـــ إى ـــ ٢٠٠٠) ، وبعد أن انتهى الجميع من التعارف ، صحب قائد القاعدة (ممدوح) إلى غرفة العمليات ، حيث أضيئت أمامه لوحة ضخمة ، تمثل جزيرة (ديوس) ، التى تستخدم كحقل لإجراء التجارب على الصاروخ ، وهى تطلُّ بساحل متعرِّج على بحر (إيجة) ، وسأل (ممدوح) قائد القاعدة ، قائلًا :

ـــ هل تمَّ فحص الجزيرة جيِّدًا ، قبل إجراء التجارب على الصاروخ ؟

أجابه قائد القاعدة :

ـــ نعم .. تم فحصها عدة مرَّات ، قبل وبعد فشل التجارب .. إنها جزيرة جدباء ، خالية تمامًا من كل أثر للحياة ، اللَّهم إلَّا من بعض الثعالب والقوارض .

عاد (ممدوح) يسأله ، مشيرًا إلى اللوحة المضيئة :

ـــ وتلك الجزيرة الصغيرة ، التى تجاور جزيرة (ديوس) .. هل يقطنها أحد ؟

ـــ أتقصد جزيرة (مارس) ؟

ـــ أهذا اسمها ؟

ـــ نعم .. فهناك أسطورة إغريقية قديمة ، تقول إن الإله (مارس) إله الحرب ، كان أوَّل من استوطن هذه الجزيرة ، وأنه قد غادرها بعد سُبات عميق ، استغرق عدة سنوات ، ليشعل الحروب فى العالم .. إنها خرافة بالطبع ، وعلى أيَّة حال ، هذه الجزيرة عديمة الأهمية ، يمتلكها رجل مجنون ، يهوَى العزلة ، وتربية الحشرات المختلفة ، ولقد أنفق كل نقوده على هوَايته هذه ، بعد أن كان مليونيرًا ، يمتلك ثروة طائلة .

سأله (ممدوح) فى اهتمام :

ــ أتقول إنه يمتلك الجزيرة ؟

أجابه القائد :

ــ نعم .. لقد ابتاعها من الحكومة التركية ، منذ عشر سنوات ، مقابل مبلغ ضخم .

تطلَّع (ممدوح) إلى الجزيرة الصغيرة على الخريطة ، وهو يتمتم :

ــ عجيب أن ينفق شخص ما معظم ثروته ، لشراء جزيرة مهجورة ، ورعاية بعض الحشرات ، ولكن ألم يكن من المحتمل أن تؤدى تجارب إطلاق الصاروخ ، إلى إصابة جزيرة (مارس) ، نظرًا لقُربها الشديد من (ديوس) ؟!

القائد :

ــ مطلقًا .. إن صاروخ التجارب يختلف عن الصاروخ الموجَّه إلى أهداف حربية ، فالأوَّل يحوى كمية ضئيلة من المتفجرات ، تكفى لتدمير مساحة محدودة من جزيرة (ديوس) ، لا تتعدَّاها إلى أجزاء أخرى من الجزيرة نفسها ، فكيف تصيب جزيرة أخرى ؟.

اكتفى (ممدوح) بهذه الإجابة ، وراح يستكمل معلوماته

عن الأمر ، فشاهد تسجيلًا لعملية إطلاق صاروخى (تى ــ إى ــ ٢٠٠٠) ، وتحوُّل مسارهما المفاجئ ، وانفجارهما فوق مياه البحر بلا مبرِّر ، وسأل أحد الفنِّيين العسكريين المصريين :

ــ ألم تعثروا بعد على سبب كل هذا ؟

أجابه العالم المصرى :

ــ مطلقًا .. لقد راجعنا كل حساباتنا ، وأجرينا العديد من الفحوص ، دون أن نهتدى إلى سبب واحد ، وراء فشل مسار الصاروخ وانفجاره .

سأل (ممدوح) قائد القاعدة :

ــ هل أحضرتم بعضًا من أجزاء الصاروخ بعد الانفجار ؟

أجابه قائد القاعدة :

ــ نعم .. لقد استخرج غواصونا العديد من قطع الصاروخ ، وبعض أجزاء أجهزته المحطَّمة ، ولكنها كانت أصغر من أن يتم فحصها لبيان السبب .

ــ هل يمكننى رؤيتها ؟

ــ بالطبع .. تعالَ معى .

صحبه القائد إلى أحد المختبرات الفنية ، حيث اصطفَّت مجموعة كبيرة من قطع الصواريخ المحطَّمة ، راح (ممدوح)

يتأمَّلها فى إمعان ، ويتناول بعضها ليفحصه ، دون أن يجد ما يثير مجرَّد انتباهه ، حتى بدا وكأنما قد تذكَّر أمرًا ما بغتة ، فعاد يتوقَّف أمام أحد أجزاء الهيكل الخارجى للصاروخ ، وانحنى يفحصه فى إمعان ، حيث كانت هناك ثلاثة أرقام واضحة عليه ، وهى (أربعة) و (ثلاثة) و (تسعة) ، وكان هناك رقم رابع حذفه الانفجار ، فسأل (ممدوح) قائد القاعدة :

ـــ هل تضعون لكل صاروخ رقمًا محدودًا ؟

أجابه القائد :

ـــ بالطبع .

ممدوح :

ـــ هل يمكنك تعرُّف رقم هذا الصاروخ إذن ؟

تأمَّل القائد ذلك الجزء من هيكل الصاروخ ، فى يد (ممدوح) ، وأكمل له رقمه ، قائلًا :

ـــ هذا الصاروخ يحمل رقم (٤٣٩٨٠) .

ممدوح :

ـــ هل يمكننى مشاهدة تسجيل عملية إطلاق هذا الصاروخ بالذات ؟

تأمَّله القائد فى عمق ، وكأنما يريد أن ينفذ إلى عقله ، وقال :

ـــ هل يراودك الشكُّ فى أمر ما ؟

ـــ سأجيبك بعد رؤية التسجيل ياسيِّدى .

ـــ حسنًا .. دَعْنا نَعُدْ إلى حجرة المراقبة إذن .

راح الاثنان يراقبان تسجيل إطلاق الصاروخ (٤٣٩٨٠) ، حتى قال (ممدوح) :

ـــ هل يمكن تكبير تلك اللقطة ، للصاروخ قبل إطلاقه ، وتثبيتها ؟

أصدر قائد القاعدة أوامره بتنفيذ مطلب (ممدوح) ، الذى راح يتأمَّل اللقطة المكبَّرة للصاروخ ، وهو يحمل الرقم (٤٣٩٨٠) ، وراح يقارن بين الرقم المكتوب على هيكل الصاروخ ، والرقم المدوَّن على قطعة هيكل الصاروخ أمامه ، وغمغم :

ـــ عجبًا !!.

ازداد فُضُول قائد القاعدة ، وهو يسأله :

ـــ ماذا هناك ؟.

أجابه (ممدوح) :

ـــ الأرقام المسجَّلة على جسم الصاروخ تبدو واضحة وسليمة ، فى حين يبدو رقم (ثلاثة) هنا ، فى تلك القطعة غير واضح ، بسبب من كتبه ، وليس بسبب الانفجار .

قائد القاعدة :

ـــ وما الذى يَعْنِيه هذا ؟

ممدوح :

ـــ يَعْنِى أن قطع الصاروخ ، التى استخرجها غواصوكم من قاع البحر ، ليست هى قطع الصاروخ نفسه ، الذى تم إطلاقه من القاعدة .

عَلَت الدهشة وجه القائد ، وهو يقول :

ـــ ولكن هذا غير معقول !!

ممدوح :

ـــ ألديك صاروخ آخر ، يحمل الأرقام نفسها ؟.

أحضر القائد سجلًا لأرقام الصواريخ ، التى تم إطلاقها ، خلال التجارب ، وقال بعد أن راجعه جيدًا :

ـــ مطلقًا .. لم نطلق صاروخًا آخر تنتهى أرقامه بـ (٤٣٩) .

ممدوح :

ـــ ليس هناك تفسير آخر إذن .

القائد :

ـــ أيعنى هذا أنه هناك من يستولى على الصواريخ التى

نُطلقها ، ويفجِّر بدلًا منها صواريخ أخرى ، تستقر فى قرار البحر ؟!

ممدوح :

ـــ هذه هى نظريتى .

هتف القائد :

ـــ ولكننا نتابع مراحل توجيه وإطلاق الصاروخ ، عَبْر الشاشات التليفزيونية ، لحظة فلَحظة ، ولم نلحظ ذلك قَطُّ .

غمغم (ممدوح) ، فى صوت أقرب إلى الهمس ، وهو يمعن التفكير :

ـــ وهذا هو اللُّغز .. اللُّغز الحقيقى ..

* * *



٤ ــ أطراف الموت ..

أوى (ممدوح) إلى فراشه ، فى حجرته داخل القاعدة العسكرية ، وعشرات الأفكار والأسئلة تتزاحم فى رأسه ، وهو يتساءل عما إذا كان استنتاجه حول اختفاء الصاروخ صحيحًا ؟.. ولو أنه كذلك ، فأين ذهب الصاروخ ؟.. ومَنِ الجهة التى تختفى وراء هذا ؟.. لاريب أن إحدى الجزر الصغيرة حول (ديوس) ، تحمل سِرَّ ذلك !!..

اتجه تفكيره فى شدة نحو جزيرة (مارس) ، ومالكها مجنون الحشرات ..

وبغتة ، شعر بتثاقل شديد فى رأسه ، وإحساس أقرب بفقدان الوعى ..

لم يكن إحساسًا طبيعيًا ، بل شعورًا قويًا بنعاس مفاجئ ، جعله يتساءل عما إذا كان أحد ما قد دسَّ له مخدِّرًا فى عصير البرتقال ، الذى تناوله على مائدة قائد القاعدة ؟!

وحاول (ممدوح) أن يقاوم هذا الشعور ، وأن ينهض

ليدفع رأسه أسفل صنبور مياه منعش ، إلَّا أن ساقيه أبَتا أن تساعداه ، فسقط على الأرض ، وأسقطت يده إناء الزهور المجاور للفراش ، وحطَّمته ، وراح يزحف أرضًا فى أعياء بالغ ، وهو يفتح عيْنَيْه فى صعوبة ، حتى بلغ المبرِّد ، وفتح بابه فى تهالك ، وتناول منه زجاجات المياه الباردة ، وراح يصبها على رأسه ، وعثر فى أحد أرففه على دورق زجاجى ، يحوى قهوة تركية ، فتناوله بأكمله ، عسى أن يساعده على اليقظة ، مما أنقذه من الوقوع فى غيبوبة طويلة ، وإن ظلّ رأسه ثقيلًا متهالكًا ..

وبعد عدة دقائق ، دلف شخص ما إلى حجرته ، وأغلق بابها خلفه فى عناية ، محاذرًا ألا يأتى صوتًا فى ولوجه ، وتقدَّم من (ممدوح) ، الذى رقد على فراشه كالنائم ، وكان الرجل يستتر بظلام الحجرة ، وهو يحمل معه صندوقًا من الورق المقوَّى ، فوق دورق زجاجى مغلق ، وانحنى يتيقَّن من نوم (ممدوح) ، وانتظام أنفاسه ، وكانت القهوة التركية قد حالت بين (ممدوح) وبين استسلامه للمخدِّر ، وإن ظلَّت حالته تتراوح بين النوم واليقظة ، ولكنه تظاهر بالإغراق فى النوم ، ليكشف سر محاولة تخديره ، بعد أن أيقظ اقتراب الرجل حواسه ، وجعله يصرّ على مواجهة ذلك الخطر المجهول ..



فسقط على الأرض ، وأسقطت يده إناء الزهور المجاور للفراش ، وحطَّمته ، وراح يزحف أرضًا فى إعياء بالغ ..

وشعر (ممدوح) بمادة لزجة توضع على وجهه وجبهته ، وشعر بالرجل يوزع هذه المادة على أجزاء جسده كلها ، وفتح جفنيه قليلًا ، ليرى الرجل وهو يصبّ بعض السائل اللزج من الدورق على ساقيه ..

وهنا استيقظ الشعور بالخطر فى نفس (ممدوح) ، فركل الدورق من يد الرجل بغتة ، وسكب باقى محتوياته على وجه وجسد خَصمه ، الذى فوجئ بأن (ممدوح) لايزال متيقِّظًا ، وأنه قد هبَّ من فراشه يعاجله بلكمة ساحقة ، قبل أن يلتقط سلاحه ..

ولكن الرجل تمالك نفسه فى سرعة ، وهو يتراجع عدة خطوات ، وحاول أن يلكم (ممدوح) فى فكِّه ، ولكن (ممدوح) انحنى متفاديًا اللكمة ، ولكم غريمه فى معدته ، فتراجع الرجل ، وهو ينثنى من أثر اللكمة ، وارتطم فى تراجعه بالصندوق الذى أحضره معه ، وسقط مع الصندوق أرضًا ..

وانفتح الصندوق ، ورأى (ممدوح) ما اقشعرَّ له بدنه ..

آلافًا مؤلَّفة من حشرات حمراء صغيرة ، انطلقت من الصندوق ، وغمرت جسد الرجل ، حيث لوَّثته المادة اللزجة ، عندما ركل (ممدوح) الدورق فى وجهه ..

كان من الواضح أن تلك الحشرات الصغيرة لا تكتفى بالتهام المادة اللزجة فحسب ، بل تتجاوزها إلى ما تحتها من جلد ، وتمزِّقه ، وتغوص أسفله ..

وبدا وكأن آلاف المناشير الصغيرة تمزِّق جسد الرجل ، الذى هبَّ واقفًا ، وعيناه تحملان مزيجًا من ألم وفزع هائلَيْن ، وهو يتقافز عاليًا ، كمن أصابه الجنون ، نافضًا الحشرات عن جسده عبثًا ..

وحاول (ممدوح) إنقاذ الرجل ، إلا أنه لم يلبث أن تجمَّد مكانه بدَوْرِه ..

لقد التفتت إليه الحشرات القاتلة الصغيرة ..

التفتت إلى السائل اللزج ، الذى لوَّثه به الرجل ..

وانقضت عليه الحشرات .....

راح (ممدوح) ينفض الحشرات القاتلة عن جسده فى سرعة وقوة ، قبل أن تبدأ فى تمزيقه ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها (شوكت) الحجرة ، مع عدد من الجنود ، وتوقَّفوا مبهوتين ، أمام المشهد العجيب ، فى حين هتف (ممدوح) :

ـ يبدو أننا نحتاج إلى مبيد حشرى .

اندفع (شوكت) محاولًا إحضار مبيد حشرى بالفعل ، على

حين هتف أحد الجنود ، وهو يتطلَّع إلى الرجل الذى اقتحم حجرة (ممدوح) :

ـ يا إلٰهى .. إنه المهندس (كاظم) .. لقد مات .. أصابته حالة صرع ، ومات .

اتسعت عينا (ممدوح) فى ذُهول ، وهو يحدِّق فى جثة (كاظم) ، مواصلًا نفض الحشرات البغيضة عن جسده ..

لقد لقِيَ (كاظم) مصرعه ، ووجهه يحمل أبشع آيات الألم والفزع ..

و (ممدوح) فى طريقه ليلقى المصير نفسه ..

* * *

تطلَّع قائد القاعدة العسكرية إلى (ممدوح) ، وهو يقول :

ـ إنك محظوظ حقًّا أيها المقدَّم ، فقد نجوت من ميتة بشعة ، إذ أن هذا النمل الأحمر ، الذى قتل المهندس (كاظم) ، يتميَّز بشراهة وحشية غير عادية ، والمادة السكرية اللزجة التى لوَّثتك بها هو ، والتى لوَّثته أنت بها بدورك ، تزيد من وحشية هذا النمل وشراهته ، بحيث يخترق جسد ضحيته ، ويتجه إلى جهازها العصبى على الفور ، ويفرز سمًّا يلهب أعصابها ، فتنتابها آلام رهيبة ، وحالة من الجنون ، لا تنتهى إلا بموتها ..

ممدوح :

ـــ لقد رأيت ذلك بنفسى .

قائد القاعدة :

ـــ لقد تبيَّن لنا من التحقيق الذى أجريناه ، أن (كاظم) هو الذى دسَّ لك المخدِّر فى عصير البرتقال ، عن طريق تسلُّله إلى المطبخ ، وإلهاء الطاهى .

ممدوح :

ـــ ولكن لماذا فعل هذا ؟

قائد القاعدة :

ـــ هذا يدهشنى بالفعل ، فلقد كان دَوْمًا محل ثقتنا التامة ، فضلًا عن كفاءته المتميِّزة فى عمله .

ممدوح :

ـــ ما دَوْرَه فى تجهيز صواريخ (تى ـــ إى ـــ ٢٠٠٠) ؟

قائد القاعدة :

ـــ كان المسئول عن جهاز التوجيه .

ممدوح :

ـــ لا ريب إذن فى أنه المسئول عن فشل تجارب الصواريخ ، وانفجارها ؟

قائد القاعدة :

ـــ ولكن لماذا ؟.. إنه يعمل معنا منذ عدة سنوات ، دون أن تشُوبه أدنى شائبة .

ممدوح :

ـــ من يدرى ؟.. كل الجواسيس يبدون هكذا ، على الرغم مما يسببونه من كوارث .

قائد القاعدة :

ـــ على أية حال ، لقد اتصلت بوزارة الدفاع ، وسيصل اثنان من المخابرات الحربية ؛ لتحرِّى الأمر ، فوجود جاسوس داخل قاعدة عسكرية ، تقوم بتجارب سرية ، هو أمر بالغ الخطورة .

ممدوح :

ـــ سأسافر أنا إلى (أنقرة) الليلة أيضًا ، وأرجو أن أجد لديكم هليوكوبتر تنقلنى إلى العاصمة .

قائد القاعدة :

ـــ آلليلة ؟!.. لماذا ؟

ممدوح :

ـــ أحتاج إلى بعض المعلومات من العاصمة .

القائد :

ــ ألا تنتظر رجال المخابرات ، لمناقشة عملية تعرُّضك للقتل على الأقل .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ سيأتى رجال مخابراتكم أساسًا للتحرِّى عن مسألة تتعلَّق بأمنكم القومى ، ومحاولة قتلى ستكون أمرًا هامشيًّا لهم .. عفوًا سيِّدى القائد .. دَعْ رجال مخابراتكم يؤدون عملهم ، ودَعْنِى أؤدى عملى بدَوْرِى .

رضخ القائد ، قائلًا :

ــ لا بأس .. ستكون الطائرة مُعَدَّة بعد نصف الساعة .. ولتبدأ مهمتك ..

* * *



٥ ــ أمر بالقتل ..

راح (ممدوح) يعيد ترتيب أفكاره ، وهو يتطلَّع إلى ساعته من حين لآخر ، منتظرًا أحد الأشخاص ، فى (كازينو) يطلّ على بحيرة صناعية جميلة فى (أنقرة) ..

كانت الساعة قد تجاوزت الموعد بخمس دقائق ، ولكنه لم يتبرَّم ، فقد كان يعلم أن القادم يحمل إليه معلومات بالغة الأهمية ، حول الرجل الذى سعى ، منذ وصوله إلى (أنقرة) ، لجمع أكبر قدر من المعلومات عنه .. عن ذلك الرجل الغامض ، الذى يحيا فى عزلة مع حشراته ، فى جزيرته النائية ، والذى يُطلق عليه البعض لقب (الرجل المخيف) ، وهو البروفيسير (جوران) ، فلم يستطع أبدًا منع نفسه من التفكير فى وجود صلة ما بين تجارب إطلاق الصواريخ الفاشلة ، وبين رجل جزيرة (مارس) ، وخاصة بعد ظهور النمل الأحمر فى العملية ، عند شكّه فى الرقم المدوَّن على هيكل الصاروخ المحطَّم ..

وكانت المعلومات التى جمعها حتى الآن ، تشير إلى أن

(جوران) هذا شخصية غامضة ، وُلِدَ فى مدينة (يارلكسير) ، لأب ثرى يعمل فى تجارة السفن ، عُرِفَ عنه شدة القسوة ، والبُعد التام عن العاطفة ، فى تعاملاته مع الآخرين ، وقد سعى هذا الأب لتكوين حزب سياسى ، يعتنق الأفكار النازية ، ويهْدُف إلى تحويل (تركيا) إلى دولة ديكتاتورية عسكرية ، وعلى الرغم من نجاحه فى تكوين هذا الحزب ، وضم بعض المتعصبين إليه ، إلا أنه فشل فشلًا ذريعًا فى الانتخابات الرسمية ، وصدر قرار بإلغاء حزبه المسمى بحزب النهضة ، لترويجه أفكارًا هدَّامة ، ذات صِبْغة إرهابية ، مما دعا مؤسِّسه إلى تكوين (ميليشيا) مسلَّحة ، والعمل على فرض أفكاره بالقوَّة ، وبوسائل إرهابية ، داخل مدينة (يارلكسير) ، وتحدّى سلطات الأمن بها ، مما أثار أهالى المدينة ، خاصَّة أن الأغلبية العظمى منهم كانت ترفض أفكاره الهدَّامة ، ولم ينتظروا تدخُّل السلطات الرسمية ، بل حاصروا منزله ، ورجموه مع أعوانه بالأحجار حتى الموت ، ولم ينج من هذا الهجوم سوى زوجته ، وابنه ذو الثلاثة عشر عامًا حينذاك (جوران) ..

كان هذا هو كل ما جمعه (ممدوح) من معلومات عن (جوران) ، وكان ينتظر الحصول على المَزِيد ، من ذلك الشخص ، الذى ضرب له هذا الموعد ، نَظِير مبْلغ من المال ..

وتطلَّع (ممدوح) إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى تجاوز موعد الثامنة بنصف الساعة ، مما أثار قلقه ، فاتجه إلى كابينة الهاتف ، ليتصل بالرجل ، ويسأله عن سرِّ تأخُّره ، ولم يكد يمسك بالهاتف ، حتى رأى الرجل يحدِّق فيه ، من خلف زجاج باب الكابينة ، فأسرع يفتح بابها ؛ ليسأله عن سرِّ تأخيره ، إلا أنه فوجئ به يهوِى أرضًا ، وقد تحجَّرت عَيْناه وخَلَتَا من بريق الحياة ، وقد استقر خِنجر حاد بين ضلوعه ، فى موضع القلب تمامًا .

وانتبه بعض روَّاد (الكازينو) إلى المشهد ، وغادر بعضهم مقاعده ، متجهًا إلى كابينة الهاتف ، ولكن (ممدوح) اعترض طريقهم ، هاتفًا :

ــ لقد فقد الرجل وعيه ، فليتصل أحدكم بالإسعاف .. هيَّا .. لن يفيد وقوفكم هنا .

راح الروَّاد يتحرَّكون فى كل مكان ، تحت تأثير كلمات (ممدوح) الحاسمة الآمرة ، فى حين اندفع هو بينهم ، وأسرع يغادر المكان ، وقاد سيارته مبتعدًا ، وقد صار أكثر يقينًا من أن للبروفيسير (جوران) صلة بالأحداث الأخيرة ، خاصة بعد

مقتل المصدر ، الذى كان يعتمد عليه (ممدوح) ؛ لجمع المعلومات عن (جوران) ..

وكان من الواضح أن لـ (جوران) هذا عيونًا فى كل مكان ، وأعوانًا على أتم الاستعداد لمنع أى مخلوق من محاولة اقتحام غموضه وعزلته ، حتى لو اضطروا إلى التخلُّص من كل من تسوِّل له نفسه الاقتراب منهما ..

وبينما غرق (ممدوح) فى أفكاره اعترضت مجموعة كبيرة الطريق ، وسط صخب دقات الطبول والموسيقى الشعبية ، فى استعراض راقص ، ارتدى فيه ثلاثة رجال أزياء العصر العثمانى ، وهم يتبادلون رقصات السيوف ، ويحيط بهم السُّيَّاح والمارة ..

وأوقف (ممدوح) سيارته ، وهبط منها يشاهد الاستعراض ، انتظارًا لخلو الطريق ، إلا أنه لمح بغتة أحد لاعبى السيوف ، وهو يرمقه بنظرة جانبية مريبة ، وقبل أن يدرك ما تعنيه ، كان الرجال الثلاثة قد انقضوا عليه ، ورفعوا سيوفهم استعدادًا لغرسها فى الهدف ..

وكان هو الهدف ..

* * *

كان رد فعل (ممدوح) سريعًا عاصفًا ، فقد فتح باب سيارته فى عُنف ، وضرب به أقرب المهاجمين فى معدته ، ثم حمله

عاليًا ، وألقى به فوق زميليه ، فسقط أحدهما أرضًا ، فى حين أطلق الآخر صيحة وحشية ، وهو ينقضّ على (ممدوح) ..

واختطف (ممدوح) سيف الرجل الساقط ، وراح يبارز خَصمه مبارزة قوية ، زاد من خطورتها أن كان خصمه بارعًا حقًّا فى استخدام سيفه ، وأن نهض زميله الثانى لمؤازرته ، وكاد يباغت (ممدوح) من الخلف ، لولا أن لمح هذا الأخير ظله ، الذى عكسته مشاعل الفرقة المصاحبة للرجال الثلاثة ، فانحنى بغتة ، وأطاح بسيف خَصمه فى قوة ، فى نفس اللحظة التى دفع فيها قدمه إلى الخلف ، وأصاب ساق خَصمه الآخر بركلة عنيفة ، ثم دار على عقبيه فى مهارة ، وركل السيف الثانى ، وألقاه بعيدًا ، ثم أخرج مسدسه ، وصوَّبه إلى خصومه ، هاتفًا :

— ما رأيكم فى سلاح آخر أيها السادة ؟

ما إن لمح الرجال الثلاثة مسدَّسه فى يده ، حتى أطلقوا سيقانهم للرياح ، وسط دهشة المشاهدين ، وخاصة عندما قفز (ممدوح) داخل سيارته ، وانطلق بها يطارد الرجال الثلاثة ، وقطع الطريق على أحدهم ، وهو يحاول الفرار فى طريق جانبى ، وقفز يمسك بتلابيبه ، ويلصقه بسيارته ، ويلصق مسدَّسه برأسه ، قائلًا :



واختطف (ممدوح) سيف الرجل الساقط ، وراح يبارز خصمه مبارزة قوية ، زاد من خطورتها أن كان خصمه بارعًا حقًا ..

ــ من كلَّفكم قتلى ؟

أجابه الرجل فى صوت مرتجف :

ــ لست .. لست أدرى .

حرَّك (ممدوح) سبَّابته على الزناد ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. أنت حدَّدت مصيرك بنفسك .

هتف الرجل متوسِّلًا :

ــ لا .. لا تقتلنى .. أرجوك .. إنه السيِّد .. (سيِّد الحشرات) .

ردَّد (ممدوح) فى دهشة :

ــ (سيِّد الحشرات) ؟!

أجابه الرجل :

ــ نعم .. لقد أصدر السيِّد (جوران) أمرًا بقتلك ، وليس علينا سوى التنفيذ .

وحسم هذا القول كل شك فى نفس (ممدوح) ..

إنه يقاتل (جوران) بالفعل ..

يقاتل (سيِّد الحشرات) ..

* * *

٦ ــ الفخ القاتل ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل ، عندما انطلق (ممدوح) يشقُّ صفحة الماء ، فى زورق قديم ، من زوارق الصيادين ، بدا له الأفضل اختيارًا ، لكَوْنه قاربًا عاديًّا ، لا يلفت الانتباه ، ويبدو كزورق صيد ضلَّ طريقه ، عندما يقترب من جزيرة (مارس) ..

وراح (ممدوح) يجدِّف بكل قواه ، وقد عقد العزم على الوصول إلى جزيرة (مارس) قبل الفجر ، وقد بدت له أضواء القاعدة العسكرية من بعيد ، تتلألأ على مياه بحر (إيجة) ، والساعات تمرُّ بطيئة مرهقة ، وهو يواصل التجديف فى عزم وإصرار ، على الرغم مما لحقه من تعب وإرهاق ..

وفى الثالثة والنصف تمامًا ، رأى (ممدوح) ضوء كشَّاف قوى يمسح صفحة المياه ، فاستخدم منظاره الخاص ، المزوَّد بعدسات للرؤية فى الظلام ، ورأى أمامه الشاطئ الرملى لجزيرة (مارس) ، الذى يمتد لمسافة لا تزيد على خمسة أمتار ، تفصل البحر عن أدغال الجزيرة الكثيفة ، وبدا له الكشَّاف الضوئى

يتحرَّك فى حركة شبه دائرية ، مع مدفع آلى متحفِّز لتدمير أى هدف يلتَقِطه الضوء ..

وتعجَّب (ممدوح) لعدم وجود حارس مسلَّح ، بالقرب من الكشَّاف ، وقد بدا له المدفع الآلى بلا قنَّاص ، ثم جال بخاطره أن الكشَّاف مزوَّد برادار يحدِّد أى هدف يقترب من الجزيرة ، ثم يتوجَّه إليه المدفع إليكترونيًّا ، ويُطلق النار ..

وقرَّر (ممدوح) أن يختَبِر ذلك بنفسه ، فالتقط سمكة كبيرة ، كان قد أحضرها معه للتمْويه ، ولتأكيد انتحاله لشخصية الصيَّاد وقت الحاجة ، ودفعها داخل فُوَّهة قاذفٍ خاص ، ثم أطلقها نحو دائرة الضوء ، التى يلقيها الكشَّاف ..

ولم تكد السمكة تبلغ دائرة الضوء ، حتى اتَّجهت نحوها فُوَّهة المدفع الآلى فى سرعة ، وأمطرتها بوابل من الرصاصات ، مزَّقتها إربًا ، قبل أن تبلغ سطح الماء ، فهتف (ممدوح) :

ــ مدهش .. إنها عملية تحديد إليكترونية للهدف ، وإطلاق آلى بالغ السرعة ، لا يحتاج إلى بشرى لتوجيهه .. وما دامت هذه هى البداية ، فلا شك أن هذه الجزيرة ستحمل إمكانيات غير محدودة ، تزيد من صعوبة المهمة .

وارتدى (ممدوح) ثياب الغوص ، وحمل معه حقيبة جلدية

متوسطة الحجم ، وقفز من القارب ، وراح يسبح تحت الماء ، فى طريقه إلى الجزيرة ، إلا أنه اصْطَدم فجأة بحاجز لَدِنٍ شفّاف ، اعترض طريقه ، ولم يؤثّر فيه نَصْل سكّينه الحاد ، فأخرج من حقيبته أسطوانة معدنيَّة ، يتصل بها سلك كهربى ، وتنتهى بمشبكين معدنيين ، ثبَّتهما فى الحاجز الشفاف ، ثم ضغط زرًّا فى الأسطوانة ، سَرَتْ معه شحنة كهربية قويَّة فى الأسلاك ، أذابت مساحة كبيرة من الحاجز ، وصنعت فيه فجوة سمحت له بالعبور ، إلَّا أنه لم يكد يعبُر الحاجز ، حتى اندفعت نحوه ثلاث أسماك من نوع (الباراكودا) الوحشى ، فألقى الأسطوانة الكهربائية نحو إحداها ، وصعقها على الفور ، ولكن السمكة الثانية أطبقت على الأسلاك بأسنانها الحادَّة ، وجذبتها بعيدًا عن يد (ممدوح) ، كما لو أنها قد أدركت أن هذه الأسطوانة هى سلاحه ، فلم يجد (ممدوح) أمامه سوى الأسلوب التقليدى ، فاستلَّ سكّينه ، وطعن السمكة ، التى راحت تدور حول نفسها فى جُنُون ، حتى خمدت حركتها تمامًا ، فى نفس الوقت الذى انقضّت فيه السمكة الثالثة ، وقد جذبَتْها رائحة دماء السَّمكة الثّانية ، وزادتها وحشية ، ولكنها لم تنقضّ عليه ، وإنما على زميلتها ، تلتهمها فى شراهة ، فاستغلَّ (ممدوح) انشغالها بهذا ،

وأسرع نحو شاطئ الجزيرة ، وقد أدرك لماذا لم يهتمّ (جوران) بالاعتماد على البشر لحماية جزيرته ؟ فلقد كان (سيِّد الحشرات) يعتمد على التكنولوچيا والموانع الطبيعية ..

وعندما بلغ (ممدوح) الشاطئ ، وألقى جسده عند جذع شجرة ضخمة ، من أشجار الغابة الكثيفة ، كان الإرهاق قد بلغ منه مبلغه ، وكان الفجر يلقِى خيوطه الأولى على الشاطئ ، فاستسلم (ممدوح) لنوم عميق ، متجاهلًا ما يحيط به من أخطار ، ولم يستيقظ من نومه إلا بعد ساعتين كاملتين ، فنهض حاملًا حقيبته الجلديَّة ، ومتخذًا طريقه بين الأدغال الكثيفة ، وهو يتساءل عما تخبئه له من أخطار ، حتى عثر على صخرة كبيرة ، أخفَى أسفلها حقيبته ، وواصل طريقه ، بعد أن تسلَّح ببعض محتوياتها ..

وفجأة ، هَوَت الأرض تحت قدميه ، وكاد يسقط فى حُفْرة عميقة ، لوْلا أن تشبَّث بحافَتِها فى اللحظة الأخيرة ، ولَمح فى قرارها مئات العَقارِب ، من مختلف الأنواع ، وبذل أقصى جهده ليدفع جسده خارِجَها ، إلَّا أن الحافَة بدأت تنْهار ، وتدفع جسده إلى القَرارِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ..

وراحت الحافَةُ تنهار تدريجيًا ، والعقارب تتزاحم فى القَرار ، وتحاول تسلّق الجُدْران ، وكأنما تتسابَق لبلُوغ ضحيَّتها ، والعَرَق يتصبَّب غزيرًا على وجْه (ممدوح) ، وقد أدرك أنه قد وقع فى فخ ..

فخ قاتل ..

* * *

٧ ـ مطاردة فى الأدغال ..

فجأة ، امتدَّت يد لـ (ممدوح) ، كطوق نجاة لغريق ، ورفع (ممدوح) عينيه إلى صاحب اليد فى دهشة ، وتضاعفت دهشته ، عندما وجد أن منقذه هو (شوكت) ، الضابط التركى الأشقر ، الأزرق العينين ، ولكنه ألقَى دهشته جانبًا ، وتشبَّث باليد المَمْدُودة إليه ، والتى بدت له كنجدة من السماء ، وهى تجذبه خارج الفخِّ القَاتِل ..

ولم يكد (ممدوح) يلتقط أنفاسه خارج الحفرة ، بعد أن تجاوز ذلك الموقف العصيب ، حتى أفسح المجال لدهشته ، و (شوكت) يقول :

ـ يبدو أننى قد وصلت فى الوقت المناسب .

سأله (ممدوح) فى دهشة :

ـ وكيف وصلت إلى هنا ؟

شوكت :

ـ إنها قصة طويلة .. لقد أبحرت خطيبتى ذات يوم مع والدها وشقيقها ، فى رحلة بحرية ، بالقرب من هذه الجزيرة ،

فوالدها يمتلك يختًا بحريًّا ، ويغرم بجمع الكائنات البحرية ، وكان
المفروض أن أرافقهم فى هذه الرحلة ، ولكن عملى حال دون
ذلك ، حتى علمت أن اليخت قد غرق فى ظروف غامضة ، وتمَّ
العثور على جُثتى والد خطيبتى وشقيقها ، وقد مزَّقتهما الأسماك
المتوحِّشة ، فى حين لم يعثر أحد على خطيبتى نفسها ، وتصوَّر
الجميع ، وأنا معهم ، أنها قد لقيت حتفها فى تلك الكارثة ، ولكن
أحدهم اتصل بى منذ يومين ، وأخبرنى أن خطيبتى (جوناز)
لا تزال على قيد الحياة ، هنا فى جزيرة (مارس) ، ويبدو أن
البروفيسير (جوران) يبحث عن عميل آخر داخل القاعدة ،
يحلّ محل (كاظم) ، فلقد طالبنى بإمداده بمعلومات جديدة
حول صواريخ (تى ــ إى ــ ٢٠٠٠) ، وخُطة إطلاقها
الجديدة ، مقابل إطلاق سراح (جوناز) ، ولكننى رفضت
الخضوع لهذا الابتزاز الحقير ، وخيانة شرف مهنتى ووطنى ،
وصمَّمت فى الوقت ذاته على إنقاذ خطيبتى من يد هذا الشيطان
بأى ثمن ، ولهذا تظاهرت بالموافقة ، ورحت أمدّ وسيط
(جوران) بمعلومات غير صحيحة ، ثم حصلت على إجازة من
القاعدة ، وقرَّرت أن أتبعك إلى هنا ، دون أن أمنحك فرصة
الرفض أو الاعتراض ، وراقبتك وأنت تستقل زورق الصيادين

وتبعتك فى زورق مطّاطِىّ ، وعندما وجدتك نائمًا ، رُحْت
أجْمَعُ بعض الثّمار لنقْتاتَ بها ، حتى عثرت عليك هنا ،
وأنقذتك .

ممدوح :

ــ وكيف استطعت تجاوز العوائق المحيطة بالجزيرة ؟

شوكت :

ــ أنت الذى ساعدتنى ، فلقد رأيت ما فعله المدفع الآلى
بسمكتك ، وغُصْت خلْفَك فى الماء ، ورُحْت أنت تقْتَحم
العوائق واحدًا بعد الآخر ، وأنا أتبعك ، ولم أفعل سوى أن
قضيت على السَّمكة الثّالثة ، التى تَرَكْتها أنت مُنْهَمِكة فى التِهَام
زميلتها ..

تطلَّع إليه (ممدوح) بضع لحظات فى صمت ، ثم قال :

ــ لست أُنكر سعادتى بوجودك الآن ، فلوْلاك لامْتلأ
جسدى بسُمِّ العَقَارب ، ولكن وجودك سيخلق لى مشكلة
حتمًا ، إذا ما وقعت فى يد ذلك العدُوّ الغامض ، الذى
نواجهه ، فرهينة مثلك تضعفُ موقفى فى مواجهته ، فضلًا عن
مخالفتك الأوامر العسكرية .

شوكت :

ــ ثِقْ أننى لن أكون أبدًا عائقًا لك ، بل سأعمل على معاونتك بشتَّى الطرق ، ليس لإنقاذ خطيبتى فحسب ، ولكن لإنقاذ مشروع الصاروخ (تى ــ إى ــ ٢٠٠٠) أيضًا من الفشل ، بعد كل ما بُذل فيه من جهد ومال ، وهذا الدَّافع يفوق أى التزام ، حتى ولو اضطررت فى النهاية إلى التخلِّى عن الزِّىِّ العسكرىِّ .

لم يُضِعْ (ممدوح) وقتًا بعد هذه العبارات ، وراح يتقدَّم مع (شوكت) عَبْر الأَدْغَال الكثيفة ، وقد أمسك كل منهما فرعًا طويلًا من أفرع الأشجار ، يجسّ به الأرض أمامه ، خشية الوقوع فى فخٍّ آخر ، ولقد عثرا بالفعل على عدة فخاخ فى طريقهما ، وكل منها يزخر بالحشرات السامة ، من مختلف الأنواع ، وهما يتوقفان بين حين وآخر ؛ لتناول بعض الثمار ، ثم يواصلان السير وقد التصقت ثيابهما بجسديهما ، من شدَّة الحرارة وغزارة العرق ، وخاضا معًا مستنقعًا راكدًا ، تزكم رائحته الأنوف ، وأسراب البعوض تهاجمهما بلدغات مؤلمة ، حتى بلغا مضيقًا عُشبيًّا ، حملهما إلى أرض منبسطة ، تنتهى بِدَغْلٍ نخيلى أقلّ كثافة ، فزفر (شوكت) ، قائلًا فى ضيق :

ــ ألا تنتهى هذه الأدغال أبدًا ؟

قال (ممدوح) :

ــ من يدرى ؟!.. ربما كانت الأدغال والمستنقعات هى أهون الأمور ضررًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت عَبْرَ مكبِّر صوتىّ قوىّ ، يقُول :

ــ فلْيَرْفع كلُّ منكما يديه عاليًا ، ويتقَهْقَر إلى الخلف ، بعيدًا عن الأشجار ، وإلَّا أطلقنا عليكما وابلًا من النِّيران .

هتف (شوكت) ، وهو يلتفِت إلى (ممدوح) :

ــ ما رأيك ؟!

أجابه (ممدوح) فى سرعة :

ــ فلْنَتَظَاهر بالخُضُوع ، ونتراجع خطْوَتين إلى الخلف ، ثم نُطْلق ساقينا للرِّياح ، بين الأشجار الممتدَّة أمامنا ، فليست بى رغبة فى هَذَا الاستسلام السهل .

نفَّذا الخطَّة بحذافيرها ، وانطلقت الرَّصاصات خلفهما ، من ثلاث مدافع آلية ، وهما يختفيان وسط أشجار النَّخيل ، وشعر (ممدوح) بالرصاصات حوله ، والصوت الآمر يهتف مرَّة أخرى :

ــ لا فائدة من محاولة الفرار .. إنكما بذلك تعرِّضان نفسيكما للموت .

هتف (ممدوح) ، وهو يشير إلى مساحة كبيرة من الأعشاب العالية :

ــ ألقِ نفسك وسط هذه الحشائش .

وثَب الاثنان بين الحشائش المرتفعة ، وراحا يواصلان فرارهما زحفًا وسطها ، ورصاصات خصومهم تحصد الأعشاب فوق رأسيهما ، كما لو كانت منجلًا ، حتى قال (شوكت) فى يأس :

ــ لا فائدة يا سيادة المقدّم .. استمرارنا سيجعلنا نخرج إلى العراء ، ولن تحصد الرصاصات القادمة العشب فقط .. بل ستحصد ما هو أخطر ..

ستحصد رأسينا .

وكان من الواضح أنه على حقٍّ .. تمامًا ..

* * *



هتف (ممدوح) ، وهو يشير إلى مساحة كبيرة من الأعشاب العالية :

ــ ألقِ نفسك وسط هذه الحشائش ..

٨ ـ ذبابة الرُّعب ..

كان اليأس هو السيِّد ، فى مثل هذا الموقف ، فى نفس (شوكت) على الأقل ، قبل أن يقول (ممدوح) فى حزم :

ـ جعبتنا لم تفرغ بعد .

تطلَّع إليه (شوكت) فى حَيْرة ، فى حين رفع (ممدوح) أكمام قميصه ، فبدا سيجاران من النوع الكوبىّ الفاخر ، مثبَّتان على ساعِديه بأرْبطة لاصقة ، رفعها (ممدوح) فى هدوء ، على الرَّغم من الرصاصات المُتطايرة فوق رأسه ورأس رفيقه ، وقدَّم أحد السِّيجارين إلى (شوكت) ، قائلًا :

ـ ما رأيك فى سيجار فاخر ؟

هتف (شوكت) فى تعجُّب :

ـ أهذا وقت الاستِمْتاع بتدخين سيجار ، والموت يحلِّق فوق رأسينا ؟!

ممدوح :

ـ بالتأكيد ، فقد حان وقت الاستسلام .. لا تحدِّق فى وجهى بذُهول هكذا .. إنه استسلام مؤقَّت ، وينبغى أن يتمَّ

فى استعلاء كامل ، وبين شفاهنا سيجار كوبى فاخر .. سنتظاهر بالاستسلام ، وعندما نصبح على مسافة مترين منهم ، اقضم الجزء الخلفى من سيجارك ، والقِ السيجار نحوهم ، ثم انبطح أرضًا فى سرعة .

أدرك (شوكت) المغزى ، فهتف مُنبهرًا :

ـ أتَعْنِى أن هذا السيجار ليس سوى .....

لم يحاول (ممدوح) تفسير الأمر ، وإنما وضع السيجار الزائف بين أسنانه ، ورفع يده من بين الحشائش الخضراء بمنديل أبيض ، علامة على الاستسلام ، فارتفع صوت عَبْرَ المكبِّر ، يقول :

ـ لا بأس .. انهضا من بين الحشائش ، وأرفعا أيديكما إلى أعلى ، وحذار من الخداع هذه المرَّة ، فبعدها لن نقبل سوى قتلكما .

نهض (ممدوج) و (شوكت) من بين الحشائش ، رافعين أيديهم ، وقد بدا مظهرهما مثيرًا للدهشة والضحك معًا ، بالسيجارين بين شفتيهما ، وطالبهما المسلحون بالتقدُّم نحوهم ، مع استمرار رفع ذراعيهما ..

وتقدَّم (ممدوح) و (شوكت) قدمًا بقدم ، فى مواجهة

أربعة مسلحين ، يصوِّبون إليهما مدافعهم الآلية ، وقد استغرق أحدهم فى الضحك لمشهد بطلينا ، ثم لم تلبث عدوَى الضحك أن انتقلت إلى رفاقه ، وهم يشيرون إلى السيجارين ، بين شفتى (ممدوح) و (شوكت) ، وهتف أحدهم ساخرًا :

ـ أيمثِّل لكما السيجار كل هذه الأهمية ، إلى الحدِّ الذى تخاطران فيه بحياتكما من أجل الحفاظ عليه ؟!

أجابه (ممدوح) فى سُخرية مماثلة :

ـ بالتأكيد .. ويسعدنا أن نهديه إلى ظرفاء مثلكم ، عن طِيبِ خاطر .

قالها وهو يقضم طرف سيجاره ، ثم يلقيه نحو المسلحين ، فى نفس اللحظة التى فعل فيها (شوكت) المثل ، وانبطح الاثنان أرضًا فى سرعة ، ودفنا وجهيهما فى الأرض العُشبيَّة ، مع دَوِىِّ انفجار تزلزلت له أرض المنطقة ، قبل أن يسُود سكُون تام ، رفع (ممدوح) بعده رأسه ، وتطلَّع إلى حيث كان المسلَّحون ، ثم قال :

ـ لقد نجونا .

تطلَّع (شوكت) إلى أشلاءِ الرجال ، وقال مُنبهرًا :

ـ وسائلك مدهشة حقًّا ، فمن يصدِّق أن سيجارين من طراز كوبى فاخر ، يمكنهما أن يحدثا كل هذا الدمار ؟

قال (ممدوح) مازحًا :

ـ هذا يعطيك فكرة عن مضار التدخين .

ولكن (شوكت) أشار إلى أعلى ، قائلًا فى توتُّر :

ـ ما هذا ؟

تطلَّع (ممدوح) إلى حيث أشار (شوكت) ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وقد رأى ذبابة هائلة ، يقلّ حجمها قليلًا عن هليوكوبتر ذات مقعدين ، وهى تقترب منهما ، وأجنحتها الضخمة تصدر أزيزًا مزعجًا ، راح يتضاعف فى سرعة ، حتى بات أشبه بأزيز آلاف الذباب ، فاندفع (ممدوح) يختطف أحد مدافع الرجال الآلية ، وأطلق شحنة من الرصاصات نحو الذبابة ، ولكن الرصاصات لم تُحدِثُ فيها أدنى أثر ، فهتف (شوكت) ، وهو يراقب حركة الأجنحة الهائلة الشفافة :

ـ أيوجد فى كوكبنا شبيه لهذا ؟

ولكن (ممدوح) قال ، وقد زايلته دهشته الأولية :

ـ إنها ليست ذبابة خرافية كما تتصوَّر ، بل هى أحد مخترعات البروفيسير (جوران) ، التى تشفُّ عن عشقه للحشرات .. إنها طائرة من نوع ، خاص ، تم تصميمها على هيئة ذبابة ضخمة ، يصعب اصطيادها .

قالها وهو يخفض مدفعه فى استسلام ، فى حين انطلق بغتة شعاع أحمر ، من عينى الذبابة ، أصاب قطعة من الأرض ، عند قدمى (ممدوح) و (شوكت) ، فاخترقت قطعة الأرض ، مخلّفة وراءها فجوة كبيرة ، تصاعدت منها الأدخنة ، إثر الاحتراق ، فارتسم الفزع فى عينى (شوكت) ، وهو يهتف :

ــ يا له من أمر مروّع ؟!

أما (ممدوح) ، فقد ظلّ ثابتًا فى مكانه ، وهو يقول :

ــ هذا يضيف صفة (قاتلة) إلى ذبابة البروفيسير (جوران) الآلية .

اهتزّت أعصاب (شوكت) ، وهو يقول :

ــ ماذا سيكون مصيرنا ، لو أصابتنا تلك الأشعة القاتلة ؟

ممدوح :

ــ اطمئن .. (جوران) لا يهدف إلى قتلنا .. الآن على الأقل .. فلو أراد قتلنا لما ألحّ رجاله علينا بالاستسلام ، ولأطلقوا النار على أجسادنا ، ونحن نختبئ وسط الحشائش ، لا فوق رءُوسنا ، ولأصابتنا تلك الأشعة الحمراء مباشرة .. إن كل هذا يا صديقى هو وسيلة لإرهابنا ، وإدخال الرُّعب على قلوبنا فحسب .

شوكت :

ــ ولماذا لا نسارع بالهرب ؟

ممدوح :

ــ وما الفائدة ؟ سيظل هذا الشىء يطاردنا ، ويحرق الأرض تحت أقدامنا حتى يُدركنا التعب ونسقط ، فيلتقطنا ويذهب بنا إلى (جوران) .

شوكت :

ــ هل تَعْنِى أنه ينبغى أن نستسلم حقًّا هذه المرّة ؟

مطّ (ممدوح) شفتيه ، قائلًا :

ــ أظننا قد سبَّبنا لعزيزنا (جوران) ما يكفى من الخسائر ، ولم نستسلم فى سهولة .

هبطت الذبابة الضخمة فى تلك اللحظة ، وخرج من قلبها ثلاثة رجال ، يرتدون على رءُوسهم خوذات سوداء ، تخفى وجوههم ، ويصوِّبون أسلحتهم نحو (شوكت) و (ممدوح) ، فى حين استطرد الأخير مبتسمًا فى ثبات عجيب :

ــ ثم إننا هنا لنلتقى بالبروفيسير (جوران) ، وهذا الشىء يمنحنا وسيلة انتقال سهلة .. أليس كذلك ؟

* * *

٩ ـ المضيف المخيف ..

هبطت الذبابة الضخمة فوق الحشائش القصيرة ، عند سفح جبلى ، ودفع المسلحون (ممدوح) و (شوكت) خارجها ، ورأى بطلانا أمامهما مرتفعًا جبليًّا ، ينحدر نحو الأرض العُشبيَّة المنبسطة ، وقد بدت صخوره شديدة الحِدَّة والوعورة والانحراف ، فقال (ممدوح) :

ـ هذا المرتفع يستحق اسم مقبرة هُوَاة التسلُّق ، بكل مايحتويه من بروزات ونتوءات وصخور حادَّة .

لم يعلِّق أحد على عبارته ، فى حين أخرج أحد المسلحين جهازًا لاسلكيًّا ، وهو يقول عَبْرَه فى جدِّية بالغة :

ـ لقد أحضرنا الأسيرين .

أتاه الرد عَبْرَ الجهاز :

ـ سنحضر لتسلُّمهما على الفور .

قال أحد المسلحين فى انفعال ، بعد انتهاء الاتصال :

ـ كم أتمنَّى لو أطلقوا أيدينا ، فى تمزيق هذين الوغدين ، بعد ما فعلاه بزملائنا عند المستنقع .

ولكن زميله الذى يحمل جهاز اللّاسلكى ، أجابه فى صرامة :

ـ كُفَّ عن هذه الحماقة ، أنت تعلم أنه لايحقُّ لأحدنا أن يطلق العِنان لعواطفه أو انفعالاته ، فنحن هنا ننفِّذ أوامر البروفيسير (جوران) فحسب .

ابتسم (ممدوح) فى سُخرية ، وهو يقول للمنفعل :

ـ لاتيئس يا رجـل .. قد يمنحك (جوران) هـذا الشرف ، وعليك أن تتدرَّب على تمزيقنا من الآن .

ازداد انفعال الرجل ، وضمَّ قبضته ليلكم (ممدوح) ، ولكن زميله لكَزَه بفُوَّهة مدفعه فى ظهره بقوة ، قائلًا :

ـ هذا يكفى .

كان (ممدوح) قد اتخذ وضعًا قتاليًّا تأهبيًّا ، عندما ضمَّ الرجل قبضته ، فعاد يسترخِى ، عندما اطمأنَّ إلى أن الرجل لن يهاجمه بالفعل ، وتسمَّر فى مكانه ، وهو يحدِّق فى الجبل فى ذُهُول ، شاركه فيه (شوكت) ..

لقد كان الجبل ينشطر ..

ينشطر شطرين ، ويتحرَّك نصفاه إلى الجانبين ، ليكشفا عن فجوة رهيبة فى المنتصف ، هى امتداد الأرض العُشبيَّة ، التى يقفان عليها ..

وهتف (ممدوح) :

ــ مُذهل .. هذا المرتفع إذن هو إطار وهمى !!

وقال (شوكت) ذاهلًا :

ــ مستحيل !!.. من يراه لا يصدِّق هذا قطُّ .. إنه طبيعى تمامًا ، حتى أننى كنت أشفق على نفسى منذ لحظات ، وأنا أتصوَّر أننا سنضطر لتسلُّقه .

ممدوح :

ــ يبدو أن لدى البروفيسير (جوران) الكثير ، ليَبْهَرنا به .. انظر .

تطلَّع (شوكت) إلى حيث أشار (ممدوح) ، ورأى سيارة صغيرة مثلَّثة الشكل ، تغادر الفجوة نحوهما ، وقد استقرَّت عجلة قيادتها فى مقعدها الخلفى ، حيث جلست تقودها شقراء فاتنة ، ذات عينين خضراوين ، وإلى جوارها سمراء ذات شعر فاحم ، وقد أمسكت الأخيرة مدفعًا آليًّا ، من نفس طراز المدافع التى يحملها الرجال الآخرون ، وتوقَّفت السيارة أمام (ممدوح) و (شوكت) ، حيث هتفت بهما السمراء فى لهجة آمرة :

ــ هيَّا .. اركبا السيارة .. بسرعة .

ركب الاثنان فى المقعد الأمامى ، و (ممدوح) يبتسم للفتاة ، قائلًا :

ــ ومن يمكنه مخالفة أوامر فاتنة مثلك ؟

لم تُبْدِ الفتاة أى اهتمام بعبارته ، وهى تقول للمسلَّحين الآخرين :

ــ يمكنكم الانصراف .

عاد المسلَّحون إلى طائرتهم الشبيهة بالذبابة ، فى حين انطلقت السيارة عائدة إلى الفجوة ، ولم تكد تعبُرها حتى ضغطت السمراء زرًّا ، فأُغْلِقَتْ الفجوة خلفهم ، وهتف (ممدوح) ، وهو يتطلَّع إلى الفجوة خلفه :

ــ مدهش !!

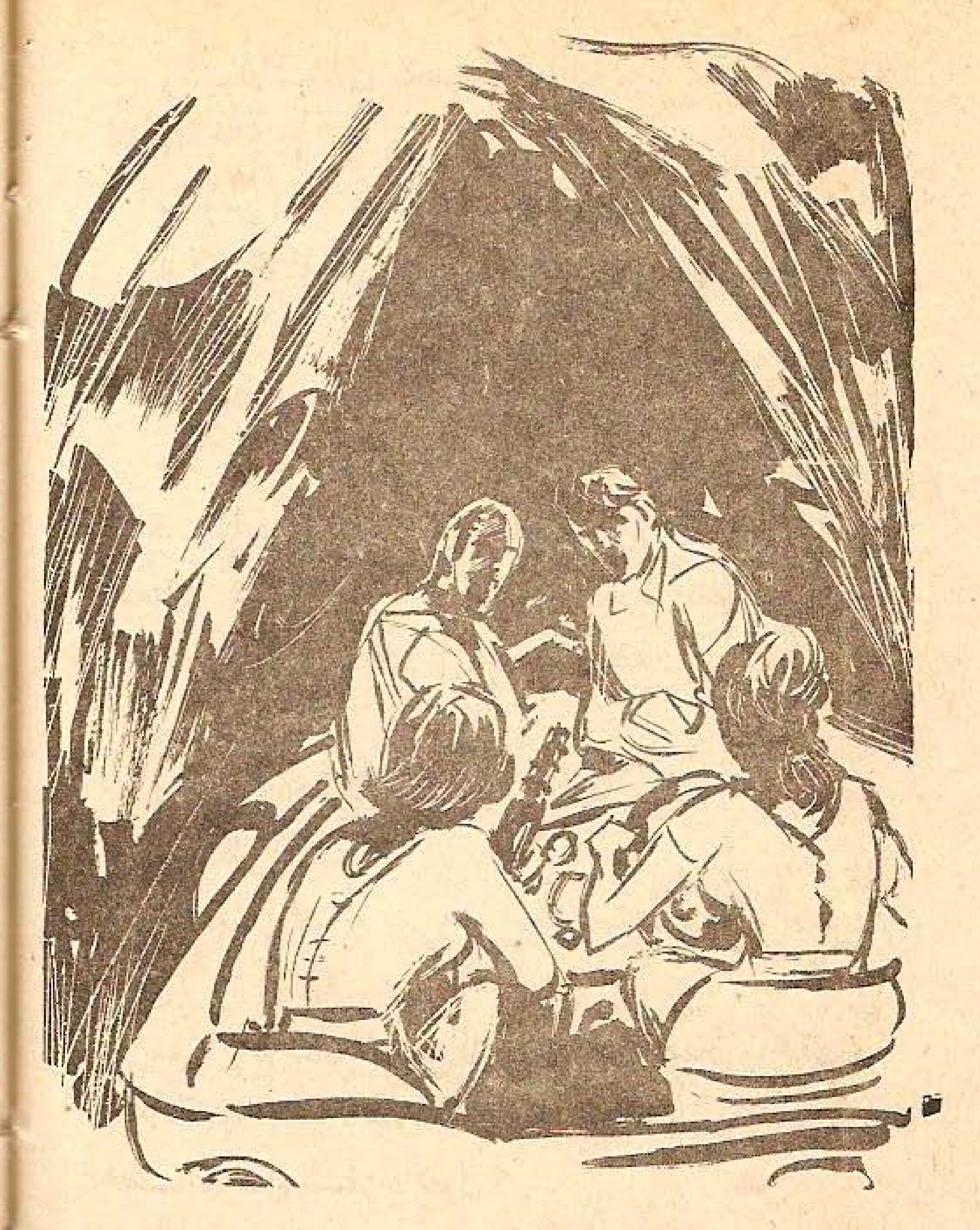
ولكن الفتاة لكَزَته بماسورة مدفعها ، قائلة :

ــ انظر أمامك .

أطاعها (ممدوح) ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلًا :

ــ من المؤسف أن تجمع فاتنة مثلك بين الجمال والخشونة .

أطلقت الشقراء ضحكة قصيرة ، فالتفتت إليها السمراء فى غضب ، جعل الشقراء تقول :



فى حين انطلقت السيارة عائدة إلى الفجوة ، ولم تكد تعبُرها حتى ضغطت السمراء زرًا ، فأُغْلِقَتْ الفجوة خلفهم ..

ـــ آسفة يا (لورا) ، ولكنه يبدو ظريفًا .. أليس كذلك ؟

تطلَّعت السمراء إلى (ممدوح) ، قائلة :

ـــ سنرى إذا كان سيحتفظ بروحه المرحة هذه ، بعد أن يلتقى بالبروفيسير (جوران) أم لا ؟

غمغم (ممدوح) ، وعيناه تسجِّلان كل ما تقعان عليه ، فى أثناء سير السيارة :

ـــ أهو مملٌ إلى هذا الحدّ ؟

هتف (شوكت) فى غيظ :

ـــ أترى الوقت مناسبًا للمزاح ؟

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

ـــ ولِمَ لا ؟.. إننا مُقْبِلان على عدوِّنا الغامض ، البروفيسير (جوران) ، وليس من اللائق أن نلتقِى به بوجوه عابسة .

كظم (شوكت) غيظه ، وهو يتطلَّع أمامه ، فى حين واصل (ممدوح) تسجيل كل ما تراه عيناه فى ذاكرته ، والسيارة تمرّ أمام مزرعة ضخمة للماشية والدواجن والخضراوات ، بدا وكأنها مخصَّصة لإطعام سكَّان الجزيرة ، وأتباع (جوران) ، اللذين يقيمون فى منازل عصرية حديثة متجاورة ، تبعد عن مجموعة من الورش الصناعية ، وقواعد إطلاق الصواريخ ،

ومعامل فنّية ، فيما بدا أشبه بمنطقة صناعية متكاملة ، يحكمها (جوران) ..

وصعدت السيارة مرتفعًا قصيرًا ، قبل أن تتوقف أمام بوّابة معدنية ، يرتفع خلفها قصر منيف ، فانفتحت البوّابة فى صمت ، وانطلقت السيارة إلى باب القصر ، حيث هبط (ممدوح) ورفيقه ، واستقبلهما عند مدخل القصر رجل يرتدى حُلّة سوداء أنيقة ، انحنى أمامهما فى احترام شديد ، وكأنه يستقبل وزيرًا ، أو سفيرًا فوق العادة ، وأشار إليهما أن يتبعاه ، وخلفهما الفتاتان ، تصوّبان إليهما مدفعيهما الآليين ، فغمغم (ممدوح) فى سُخرية ، وهو يشير إلى الخادم الأنيق :

ــ هذا يشبه الأفلام الإنجليزية القديمة .

سار الجميع عَبْرَ ممرّ طويل ، انتهى بهم عند باب آبنوسى ، مزدان بنقوش ورسوم رائعة ، فأشار إليهما الخادم بالدخول ، وهو يفتح الباب ، ثم أغلقه خلفهما ، دون أن تتبعهما الفتاتان إلى تلك الحجرة الرَّحبة الواسعة ، التى تغطى أرضيتها أبسطة سميكة ناعمة ، وتزدخر بأثاث فاخر وثير ، على نحو يشفّ عن الارستقراطية والثراء ، مما جعل (شوكت) يهتف مُنبهرًا :

ــ يا للرَّوعة !!

أما (ممدوح) ، فقد ترك جسده يغوص فى مقعد ناعم ، وهو يقول :

ــ لقد أصبحنا سجناء هنا ، ولست أظنهم يطلقون سراحنا أبدًا .

أتاه صوت من خلفه يقول :

ــ الباب ليس مُوصدًا ، وأنتما ضيفاى ، منذ وطِئت أقدامكما جزيرتى .

وكان هذا هو السيِّد ..

سيِّد الحشرات ..

* * *



١٠ ـ الرجل الغامض ..

كان المحيِّر حقًّا هو أن الحجرة خالية ، إلا من (ممدوح) و (شوكت) ، على الرغم من أن صوت (جوران) كان يتردَّد فيها ، وهو يستطرد :

ـ لا ريب أن رؤساءكما قد أخبروكما أننى أمتلك الجزيرة .

أدار (ممدوح) و (شوكت) عيونهما فى الحجرة ، بحثًا عن مصدر الصوت ، وتوقَّفت عينا (ممدوح) عند مرآة كبيرة ، تحتلُّ حائطًا بأكمله من حوائط الحجرة ، وبدا له أن الصوت يصدر من خلفها ، فوقف فى مواجهتها ، قائلًا :

ـ ليس من اللياقة أن يستمع الضيف إلى صوت مضيفه ، دون أن يراه .

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى تحرَّكت المرآة جانبًا ، ليبدو خلفها رجل طويل القامة ، نحيل الجسد ، شوَّهت النيران نصف وجهه الأيسر ، ونصف رأسه وشعره ، فى حين يشفُّ النصف الأيمن عن وسامة قديمة ، على الرغم من تقدُّم الرجل فى السِّن ..

وكان الرجل يحدِّق فى وجه (ممدوح) بعين حادَّة جاحظة ،

كعين صقر مفترس ، دون أن يتحرَّك قيد أُنمُلَة ، فمدَّ (ممدوح) يده يصافحه ، قائلًا :

ـ أظنّك البروفيسير (جوران) .. حسنًا .. أقدِّم لك نفسى ، أنا (ممدوح عبد الوهاب) ، من .....

قاطعته ضحكة مجلجلة ، انطلقت من خلفه ، فاستدار فى حدَّة ، ليرى باب الحجرة مفتوحًا ، وعلى عتبته رجل ، هو صورة طبق الأصل من ذلك الذى يقف أمامه ، ولقد تقدَّم الرجل إلى الحجرة فى تعالٍ واضح ، أمام عينى (ممدوح) و (شوكت) الذاهلتين ، وضغط زرّ جهاز تحكُّم آلى فى يده ، فعادت المرآة إلى موضعها ، وتحوَّل الرجل إلى (ممدوح) ، وقال دون أن تفارق ابتسامته المتعالية وجهه :

ـ يبدو أن تمثالى الشمعى قد خدعك ، كما يفعل بالكثيرين .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـ حيلة جيِّدة ، أشبه بحيلَة ذلك المرتفع الاصطناعى ، الذى يفصل ما بين مستعمرتك والأدغال .. أظنّك تعشق الحِيَل والألاعيب ، عشقك للحشرات .

أطلَّت نظرة صقر من عينى (جوران) ، وهو يتطلَّع إلى (ممدوح) ، قائلًا :

ــ وأظنّك تعلم الكثير عنى يا مستر (ممدوح) .

قال (ممدوح) فى تحدٍّ :

ــ ما أعرفه عنك يزيدك غموضًا من وجهة نظرى يا بروفيسير ، ولقد أتيت إلى هنا ، فى محاولة لإزالة هذا الغموض .

تطلّع إليه (جوران) فى استخفاف ، قائلًا :

ــ أتظنُّك ستنجح فى هذا ؟

ممدوح :

ــ هذا ما عقدت العزم عليه .

اقترب منه (جوران) ، وهو يهمس بصوت أشبه بالفحيح :

ــ ثِق أنك لو نجحت فيما تعتزم ، فستكون حياتك هى ثمن نجاحك .

وجلس فوق أحد المقاعد ، ووضع ساقًا فوق الأخرى ، وهو يردف :

ــ أأنت مستعد لدفع ثمن كهذا ؟

ممدوح :

ــ الدفع يأتى بعد المعرفة دَوْمًا .

جوران :

ــ لا بأس ، ولكن تذكَّر أننى قد حذَّرتك .. ما الذى تريد معرفته ؟

ممدوح :

ــ قُلْ لى أوّلًا : أأنت المسئول عن تدمير صواريخنا ، وسقوطها فى بحر (إيجة) ؟

ابتسم (جوران) ، قائلًا :

ــ أستطيع أن أؤكّد أننى لم أتسبَّب فى تدمير أى صاروخ قَطُّ .

ممدوح :

ــ هل يتضمَّن الثمن تحايلك ؟

جوران :

ــ لا .. ولكننى ما زلت أصرُّ على أننى لم أدمِّر أى صاروخ .

هتف (شوكت) فى حِدَّة :

ــ ولكننى واثق من أنك المسئول ، ومن أنك الرجل الذى اختطف خطيبتى (جوناز) .. أين هى ؟.. أخبرنى .

وجَّه (جوران) حديثه إلى (ممدوح) ، متجاهلًا (شوكت) تمامًا ، وهو يقول فى هدوء :

— يبدو أن زميلك عصبىّ للغاية يا مستر (ممدوح) .

انقضَّ (شوكت) على (جوران) ، صارخًا :

— ثق أننى لا أعبأ بغموضك ولا بحشراتك أيها الغامض ، ولا بجزيرتك كلها ، وسأقتلك على التوّ ، لو لم تخبرنى بمكان خطيبتى ، ولو لم .....

رفع (جوران) ساعته فى وجه (شوكت) ، وضغط زرًّا صغيرًا فيها ، فانطلق منها شعاع كهربى ، ارتجف له (شوكت) فى قوة ، وهو يصرخ فى ألم ، قبل أن يسقط أرضًا ، فاحتقن وجه (ممدوح) غضبًا ، وهو يقول :

— ما الذى فعلته بهذا المسكين ؟

أجابه (جوران) فى هدوء ، ودون أدنى انفعال :

— ليس هناك ما يدعو للقلق ، فلم يَنَل صديقك سوى شحنة كهربية صغيرة لتأديبه فحسب ، ولتعليمه كيف يسيطر على أعصابه فيما بعد ، ولو أردت قتله لفعلت .

قال (ممدوح) ، وهو يبذل أقصى جهده لكبت انفعالاته :

— فليكن ، ولكننى أكره هذا الأسلوب ، وأكره أيضًا تجاهلك لإجابة سؤالى ، عن كَوْنِك المسئول عن فشل صواريخ (تى ــ إى ــ ٢٠٠٠) .

جوران :

— السؤال هكذا يختلف ، فأنا المسئول عن فشل تجارب صواريخ (تى ــ إى ــ ٢٠٠٠) ، ولكننى لم أدمِّر أحدها .

ممدوح :

— كيف ؟

رمق (جوران) (شوكت) ، الذى يحاول النهوض فى تهالك ، بنظرة جانبية ، وهو يجيب :

— لكى تعلم الجواب ، ينبغى أن نعود إلى الماضى البعيد .. إلى نشأتى الأولى فى (باركلسير) ، ووالدى (نشأت جوران) ، ولكننى أفضِّل أن نؤجِّل ذلك إلى ما بعد العشاء ، فلا شك أنك وزميلك جائعان .. هيًّا .. اتبعانى .

تبعه (ممدوح) و (شوكت) إلى غرفة رخامية أنيقة تضيئها شمعدانات ذهبية كبيرة ، وتتوسَّطها مائدة فاخرة ، جلس (جوران) على مقعد صدارتها ، وعلى جانبيه (ممدوح) و (شوكت) ، وقال (ممدوح) ، وهو يتأمَّل مظاهر البذخ والثَّراء من حوله :

— لا ريب أنك فاحش الثَّراء يا بروفيسير (جوران) ، فمنذ وَطِئَتْ أقدامنا مستعمرتك ، لا تقع أعيننا إلا على كل ما يُبهر .

أطلّت نظرة الصقر من عينى (جوبران) مرّة أخرى ، وهو يقول :

— الثراء ليس هدفًا لى يا مستر (ممدوح) ، إنه مجرّد وسيلة .. وسيلة لتحقيق أغراضى الحقيقية .

اعتدل (ممدوح) ، وهو يقول :

— هذا يعيدنا إلى سؤالى .. ما أغراضك يا بروفيسير (جوران) ؟ وما علاقتها ببرنامج صواريخنا ؟

بدا (جوران) أشبه بتمثال من الثلج ، وهو يقول فى برود منقطع النظير :

— ستعلم يا مستر (ممدوح) .. ستعلم كل شىء .

وبدت عيناه هذه المرّة أشبه بعينى صقر كاسر جائع ، وهو يستطرد .

— وستدفع الثمن ..

* * *



١١ — ثمن المعرفة ..

وضع خادم حجرة الطعام وعاءً فاخرًا أمام (ممدوح) ، ولم يكشف غطاءه الفضىّ ، حتى حدّق (ممدوح) فى الطعام بدهشة ، وغمغم :

— ما هذا ؟

أجابه (جوران) :

— وجبة شهية للغاية ، فهى نوع من الحشرات ، التى تعيش بالقرب من السواحل ، وهى تحوِى نسبة عالية من الكالسيوم والفوسفور .

قال (ممدوح) ، وهو يخفِى اشمئزازه :

— لست أظنّنى أستسيغ مثل هذه الوجبة ، فأنا أفضّل الحصول على الكالسيوم والفوسفور من مصادر أخرى .

أسرع (شوكت) يقول :

— وأنا أيضًا .

قال (جوران) فى لامبالاة :

— كما يحلو لكما .

وأشار إلى خادمه ، فرفع الوعاء من أمامهما ، ووضع بدلًا منه وعاء آخر ، كاد الاثنان يتقيآن أمام محتوياته ، و (جوران) يصف وجبته ، قائلًا :

ـــ وجبة ممتازة هذه المرَّة .. خليط من ثعابين المستنقعات ، والطحالب البحرية ، وبها نسبة عالية من اليود والحديد .

أشاح (ممدوح) بوجهه عن الطعام ، وهو يقول :

ـــ لست أستسيغ سوى الطعام التقليدى ، ألا يوجد شىء منه هنا ؟

قال (جوران) ، وهو يشير إلى خادمه :

ـــ بالطبع .. هل تفضلان لحم الطيور .

هتف الاثنان فى آن واحد :

ـــ بالطبع .

أحضر الخادم وعاءين كبيرين هذه المرَّة ، ووضعهما أمام (ممدوح) و (شوكت) ، وكان الطعام عبارة عن قطع من الطيور ، لها رائحة شهية ، مع حساء لذيذ ، أقبل الاثنان على التهامه فى شغف ، حتى قال (جوران) :

ـــ إنه نوع من طيور المستنقعات ، التى تتغذَّى على ديدان العلق ، و .....

ألقَى (ممدوح) قطعة اللحم التى يمسك بها فى طبقه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـــ حسنًا .. هذا يكفى .

ثم أضاف وهو يغادر المائدة :

ـــ لقد فقدت شهيتى للطعام .

* * *

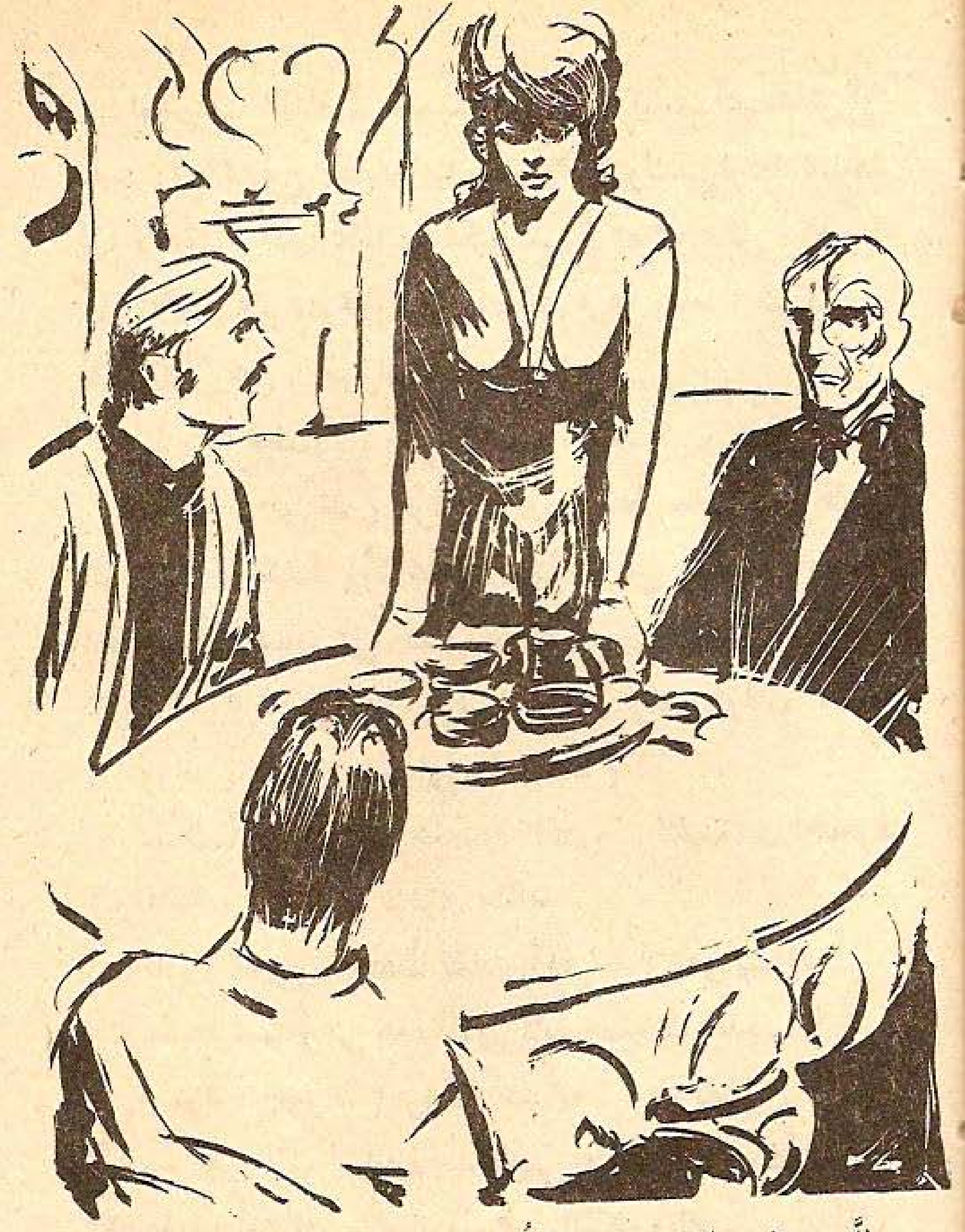
انتقل الثلاثة بعد الطعام إلى حجرة مفروشة ببساط أزرق أنيق ، يتوسَّطها صالون أبيض ، ومائدة من العاج ، جلسوا حولها ، وطلب (جوران) ـــ عَبْرَ جهاز مثبَّت فى المائدة ـــ إحضار القهوة ، فسأله (ممدوح) بعدها :

ـــ ألم يَحِنْ موعد إجابة سؤالى بعد ؟

وضع (جوران) إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وأشعل سيجارًا فى تلذُّذ ، ثم تناول من علبته الذهبية سيجارًا آخر ، ناوله إلى (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ لِمَ لا تجرِّب هذا السيجار ؟.. إنه أطيب مذاقًا من السيجار الذى ألقيته على رجالى فى المستنقع .

كان من الواضح أن (جوران) يتسلَّى بتحطيم أعصاب (ممدوح) ، الذى هَمَّ بالنهوض ، قائلًا :



تطلَّعت إليه الفتاة بوجه يخلُو من التعبيرات تمامًا ، وراحت تقدِّم القهوة فى آلية ..

— حسنًا يا بروفيسير (جوران) ، ما دمت لا تجد فى نفسك رغبة فى التحدُّث إلىَّ فى هذا الشأن ، فسأذهب لأحصل على قدرٍ من النوم ، ولنؤجِّل القهوة والإجابة إلى الغد .

أشار (جوران) إلى الفتاة ، التى أحضرت القهوة ، وهو يقول فى بُرُود :

— لقد وصلت القهوة بالفعل .

ولم تكد عينا (شوكت) تقعان على وجه الفتاة ، حتى هبَّ من مكانه ، هاتفًا :

— (جوناز) ؟!

تطلَّعت إليه الفتاة بوجه يخلُو من التعبيرات تمامًا ، وراحت تقدِّم القهوة فى آلية ، فهتف بها مرَّة أخرى :

— (جوناز) .. أنا (شوكت) .. ألا تذكرينني ؟!.. أنا خطيبك .

ارتعدت يد الفتاة ، وهى تقدِّم له القهوة ، و (جوران) يرمقها بنظراته الحادَّة ، وهو يقول :

— لقد انقطعت صلة هذه الفتاة بماضيها تمامًا ، ولم تَعُد تعرف سوى أنها تعمل فى خدمة البروفيسير (جوران) ، وتطيع أوامره فحسب .. لقد أضعت فرصة استردادها برفضك التعاون معى ، فلا تلُومَنَّ إلا نفسك .

انصرفت الفتاة فى صمت ، دون أن تبدى أى تعليق أو تعبير ، و (ممدوح) يتابعها ببصره ، وقد أدرك من ارتعادة يدها أنها لم تفقد إرادتها تمامًا ، ولكنها أسيرة خوف هائل ، يجبرها على الاستسلام ، ومحاولة إخفاء مشاعرها ، أما (شوكت) فقد انقضّ على (جوران) ، صارخًا :

— ماذا فعلت بـ(جوناز) أيها الوغد ؟

صعقه (جوران) مرّة أخرى بأشعة ساعته ، وأفقده الوعى ، ثم ضغط زرًّا مجاورًا ، دلف على أثره زنجيّان إلى الحجرة ، يرتديان على جسميهما الضخمين سروالين من لون أزرق . وصِدَارَيْنِ من لون برتقالى زاهٍ ، وقال لهما (جوران) . وهو يشير إلى (شوكت) :

— لقد ضقت ذرعًا بهذا الفتى .. ألقياه فى الحجرة البرتقالية ، حتى أتخذ قرارى بشأنه .

ظلّ (ممدوح) محتفظًا بثبات أعصابه ، وهو يسأله :

— هل سيتعرّض هذا الفتى لأيّة عمليات تعذيب ؟

استردّ (جوران) برودة أعصابه ، وهو يقول :

— ليس الآن .. إنه لم يَعُد يَعْنِينى على أيّة حال ، فأنا أحب التعامل مع أمثالك ، ممن أتوسّم فيهم الذكاء والفهم ، وأنا أقدّر

جُرأتك وشجاعتك فى الواقع ، وأنت تشقُّ طريقك إلى هنا ، متحدّيًا كل الصعاب ، فى سبيل المعرفة ، واستعدادك لدفع ثمنها ، كما اتفقنا .. أليس كذلك ؟

أجابه (ممدوح) فى صلابة :

— بلَى .

اعتدل (جوران) ، قائلًا :

— حسنًا .. سأقُصُّ عليك القصة كلها .. من البداية ..

* * *



١٢ ـ الخُدعة الجهنَّميَّة ..

نفثَ (جوران) دُخان سيجاره فى عمق ، قبل أن يقول :

ـ معلوماتك عنّى تنتهى بمصرع والدى رجمًا بالحجارة ، على يد سكّان (يارلكسير) ، وفرارى مع أُمّى فى ذلك اليوم ، الذى لم ولن ينمحى من ذاكرتى أبدًا ، فلقد هربنا يومها من باب خلفى ، وانطلقنا فى سيارة أحد أعضاء المنظمة ، التى أسَّسها أبى ، وكنت ـ حينذاك ـ أشعر بخوف لا مثيل له ، كان أقوى من حزنى على ما أصاب أبى ، وباتَ كل همّنا أن نغادر المدينة والبلاد كلها ، فى أسرع وقت ممكن ، ولكن السيارة انقلبت بنا ، وانفجرت ، وكان نصيبى منها هذا الوجه المشوَّه ، الذى رفضت أُمّى إخفاءه بعملية تجميل ، ورفضتُ بِدَوْرِى بعدها العملية نفسها ، وكان وعدى الأخير لها ، وهى على فراش الموت ، أن أحتفظ بذلك الوجه المشوَّه ، حتى لا أنسى ما حدث أبدًا ، وحتى أسعى دَوْمًا للانتقام من (يارلكسير) كلها ..

راقب (ممدوح) ، فى صمت واهتمام ، ملامح الألم والبُغض ،

التى ارتسمت على وجه (جوران) ، وهو يسترجع تلك الذكريات ، فى حين راح هذا الأخير يردف :

ـ لقد وقَرَ الانتقام فى نفسى ، منذ ذلك اليوم ، ولم يَعُد لدَىَّ هدف فى الحياة كلّها سوى الانتقام لأبى ، الذى مات رجمًا ، ولأُمّى التى أصابها الشلل قبل موتها ، ولوجهى المشوَّه ، الذى كان ضحية الهروب .. ولم تَعُد دائرة انتقامى مقصُورة على (يارلكسير) فحسب ، وإنما امتدَّت إلى (تركيا) .. بل إلى البشرية كلها .. واستطاع صديق أبى أن يساعدنا على السفر إلى (البرازيل) ، حيث فرَّ بعض أعضاء منظمة (النهضة) قبلنا ، وكانوا يحتفظون بإخلاصهم وولائهم لأبى ، ونجحوا عن طريق الأموال التى هرَّبوها إلى هناك ، فى إقامة عدد من المشاريع الناجحة ، وأمدُّونا بالمساعدات ، وقدَّموا لوالدتى بعض التسهيلات ، لتصبح شريكة فى عدد من المشروعات الضخمة ، مما منحنا ثروة هائلة ، جعلتنى أدير عددًا من المشروعات ، وأمتلك ثروة طائلة ، قبل حتى أن أنتهى من دراستى الجامعية ، وعندما موَّلت بعثة تنقيب ، تبحث عن مناجم الذهب ، التى كان يمتلكها الهنود القُدامى ، نقلنى كشف هذه المناجم إلى مصافّ أصحاب البلايين ، وهنا بدأت

انتقامى ، فابتعت هذه الجزيرة ، وأقمت عليها كل ما رأيته ، وما لم تره بعد من منشآت ، وجعلت أموالى من هذه الجزيرة دولة مستقلّة ، بها رجال ونساء ، وأحدث تكنولوچيا العصر ، ولا يحق لمخلوق واحد مغادرتها ، دون إذن منّى ، وهدف أحدّده له ، والموت عقاب كل من يخالف هذا ، أو تُسوِّلُ له نفسه الاقتراب من الجزيرة .. ولم تكن هذه المستعمرة هى هدفى ، بل لقد اخترت جزيرة (مارس) بالذات ؛ لقُربها من القاعدة العسكرية ، التى يعملون فيها على تطوير صواريخ (تى — إى — ٢٠٠٠) ، بتعاون مصرى تركى مشترك ، بعد أن أبلغتنى مصادرى بذلك ، وبعد أن أكّدت لى أن تلك الصواريخ مُتقنة تمامًا تكنولوچيًّا ، وتتمتّع بقوة تدمير غير عادية ، ودِقّة مُذهلة فى إصابة الهدف ، وقرّرت الاستيلاء على تلك الصواريخ بأى ثمن .. ونجحت فى تجنيد الضابط مهندس (كاظم) — أحد العاملين فى المشروع — لحسابى ، بحيث كان يُدخل تعديلًا على برنامج الكمبيوتر يخُل بتوجيهه فى لحظة بعينها ، ويدفعه للهبوط فى قاعدة خاصة هنا ، وعلى الفور يوقف خبرائى عملياته الحيوية كلها ، ويعملون على إعداده للانطلاق ، فى الوقت الذى أراه أنا مناسبًا .

ممدوح :

— ولكننا رأينا جميعًا هذه الصواريخ تنفجر ، فوق بحر (إيجة) ، بعد أن تتخذ مسارًا رأسيًّا .

ابتسم (جوران) ، قائلًا فى زهوٍ :

— وهنا تكمن عبقرية خُطّتى الجهنّميّة .

وضغط زرًّا فى جهاز التحكُّم الآلى الذى يحمله ، فارتفعت إحدى لوحات الحائط الفنّيّة إلى أعلى ، كاشفة شاشتى رصد ، فى نفس اللحظة التى خبَتْ فيها أضواء الحجرة ، واستطرد (جوران) :

— لقد نجح الفنّيون التابعون لى فى الجزيرة ، فى تنفيذ فكرة ابتكرتها أنا ، تعتمد على معرفتنا للمواعيد المحدودة لإطلاق الصاروخ من القاعدة بمنتهى الدقة ، بحيث نطلق نحن — فى فترة عبوره بحر (إيجة) — ما يسمّى بالعازل الهوائى ، وهو أحد مبتكرات العالم الألمانى الأشهر دكتور (زيجل) ، الذى يشرف على فريقى هنا ، وهو عبارة عن بثّ تليفزيون موجَّه ، عن طريق أجهزة بثٍّ قويّة داخل الجزيرة ، بحيث تعزل أجهزة المراقبة فى القاعدة عن متابعة انطلاق الصاروخ تمامًا ، وتبث لها فى الوقت ذاته مشاهد خداعية لصاروخ يبدل مساره رأسيًّا ، وينفجر ،

وتسقط شظاياه فى أعماق بحر (إيجة) ، بحيث لا ينتبه مخلوق واحد إلى تبدُّل عملية البثّ والشوشرة والعزل ، وفى اللحظة التى يهبط فيها الصاروخ ، فى القاعدة التى أعدَدْناها على الجزيرة ، يقوم رجالى بإلقاء أجزاء معدنية ، وشظايا صاروخية زائفة فى البحر ، حتى يقوم غوَّاصوكم باستخراجها ، فيتصوَّرون أنها أجزاء الصاروخ الذى انفجر نظرًا لصغرها وكثرتها ، وانتشارها فى قرار البحر .

ممدوح :

ـ لقد كنت دقيقًا ، والحقُّ يقال ، فى تنفيذ خُطَّتك ، حتى أنك كنت تحصل على أرقام الصواريخ ، من جاسوسك بالقاعدة ، وتقوم بتسجيلها على بعض الأجزاء المعدنية ، التى تلقيها فى قرار البحر ، حتى لا تدع مجالًا للشك ، فى كَوْنِها الأجزاء الحقيقية .

ابتسم (جوران) فى زهوٍ ، وهو يقول :

ـ انظر .. سأدعك تشاهد تجربة عملية .

وضغط زرًّا آخر ، فبدت على الشاشة صورة انطلاق الصاروخ الأصلى ، واندفاعه فوق مياه البحر ، ثم أوقف (جوران) الصورة ، وقال :

ـ انظر الآن .

كان الصاروخ ثابتًا فوق الشاشة ، وقد بدا أشبه بظل واهٍ ،

فى حين راحت صورة أخرى تحتل محلَّه ، كظل رمادى باهت ، ثم انفصلت الصورتان ، فبدَت على إحدىِ الشاشتين صورة الصاروخ الأصلى ، وهو يتجه إلى الجزيرة ، ويستقرّ فى القاعدة المعدَّة له هناك ، وفى الأخرى صورة الصاروخ الخداعى ، وهو ينطلق رأسيًّا ، وينفجر ، فهتف (ممدوح) :

ـ مُدهش !!

أجاب (جوران) :

ـ كان من الممكن أن يبقى هذا السرّ غامضًا إلى الأبد ، لولا أن أثرت أنت الشكوك ، بملاحظتك اختلاف طفيف فى أرقام الجزء المعدنى الزائف ، عن الأرقام الأصلية على الصاروخ الفعلى ، وعند هذه النقطة ، أصبحت تمثّل خطرًا علينا .. وأصبح القضاء عليك حتميًّا .

قال (ممدوح) ساخرًا :

ـ هذا قرَّرت تقديمى طعامًا لحشراتك .. أليس كذلك ؟.. وبالمناسبة .. ما علاقتك بالحشرات ؟. ولماذا يطلقون عليك اسم (سيِّد الحشرات) ؟.

ابتسم (جوران) وهو يقول :

ـ هذه قصة أخرى .. قصة مختلفة تمامًا .

وراح يروِى ..

* * *

١٣ ــ تجربة مثيرة ..

بدا (جوران) حالمًا ، وهو يستعيد تلك الذكريات القديمة ، قائلًا :

ــ كان ذلك فى الماضى أيضًا ، فعندما هاجم الغوغاء منزلنا ، أخفتنى أُمِّى داخل قبو المنزل ، حتى لا أتعرَّض للخطر ، وكانت هناك حشرات وقوارض من مختلف الأنواع ، وعلى الرغم من صغر سنِّى ، لم أشعر بأى خوف تجاهها ، وإنما بأُلْفَة عجيبة ، وترسَّخ فى ذهنى أن تلك الحشرات أفضل كثيرًا من البشر الغوغاء ، الذين يهاجموننا ، ورحت أتعمَّق فى دراسة علم الحشرات ، والتحقت فى (البرازيل) بمعهد متخصِّص فى هذا الشأن ، حتى أصبحت أعلم الكثير عن الحشرات وخصائصها وأنواعها ، وهذه الجزيرة تزخر بأنواع نادرة من الحشرات ، على وجه الخصوص .

ممدوح :

ــ لا بأس .. فلنعُد إلى موضوعنا الأصلى .. لقد

كشفت لى عن حيلتك الجهنَّمية ، فى الاستيلاء على صواريخ (تى ــ إى ــ ٢٠٠٠) ، ولكنك لم تخبرنى بالغرض من هذا .

ابتسم (جوران) ، قائلًا :

ــ ألم تدرك بعد ؟.. كل تلك الصواريخ ستوجَّه إلى (يارلكسير) أوَّلًا ، ثم إلى (تركيا) كلها .. سأبيد المدينة التى اغتال سكَّانها أبى ، وتسبَّبوا فى شلل أُمِّى وموتها ، وتشوُّه وجهى ، ثم أحطِّم الدولة التى لطَّخت سمعة أبى السياسية ، وحطَّمت حزبه ، الذى كان سيعلى شأن (تركيا) ، ولن يقتصر انتقامى على هذا ، بل سأطلق أنواعًا رهيبة من الحشرات فى أنحاء البلاد ، فتشيع الفوضى والخراب فى كل مكان .. هذا هو انتقامى .

قال (ممدوح) مستخفًّا :

ــ وهل توقَّعت أن يتركك العالم بعدها بلا عقاب ؟

جوران :

ــ بعد انتقامى سيختفى البروفيسير (جوران) تمامًا ، فلقد أعددْت العُدَّة لمغادرة الجزيرة فى غوَّاصة صغيرة ، لتلقَى الجزيرة مصير الدولة ، وبعدها سأجرى عملية التجميل ، التى انتظرتها

طِيلَة عمرى ، فأبدِّل وجهى واسمى وحياتى ، وأبدأ حياة جديدة فى مجتمع جديد .

صفَّق (ممدوح) ، وهو يقول فى سُخرية :

ــ ياها من نهاية سعيدة !.. أى مخرج مريض وضعها يا بروفيسير (جوران) ؟.. هل تتصوَّر أنه يمكنك أن تدمِّر دولة كاملة ببضعة صواريخ استوليت عليها عَنوَة ، ثم ينتهى الأمر هكذا ؟!..

قال (جوران) فى سُخرية مماثلة :

ــ الرجل الذى نجح فى خداع وزارة الدفاع والمخابرات الحربية ، وأعظم خبراء العالم العسكريين وعلماء الصواريخ ، يمكنه أن يفعل ما هو أكثر من هذا .

ممدوح :

ــ هل تسعى لأن تدفع دولة كاملة ثمن تهوُّر بعض سكَّانها ؟.. إنك مريض أحمق ، وليس وجهك هو الذى يحتاج إلى علاج ، بل هو عقلك يا بروفيسير (جوران) .. لا تجعل قوتك المزعومة تخدعك يا رجل ، فلن يمكنك أن تُقدِمَ على عمل رهيب كهذا ، ثم تنجُوَ فى سلاسة .

جاء دور (جوران) ليصفِّق بيديه ، قائلًا :

ــ انتهى الحديث يا مستر (ممدوح) .. لقد حصلت على المعرفة ، وحان موعد دفع الثمن .

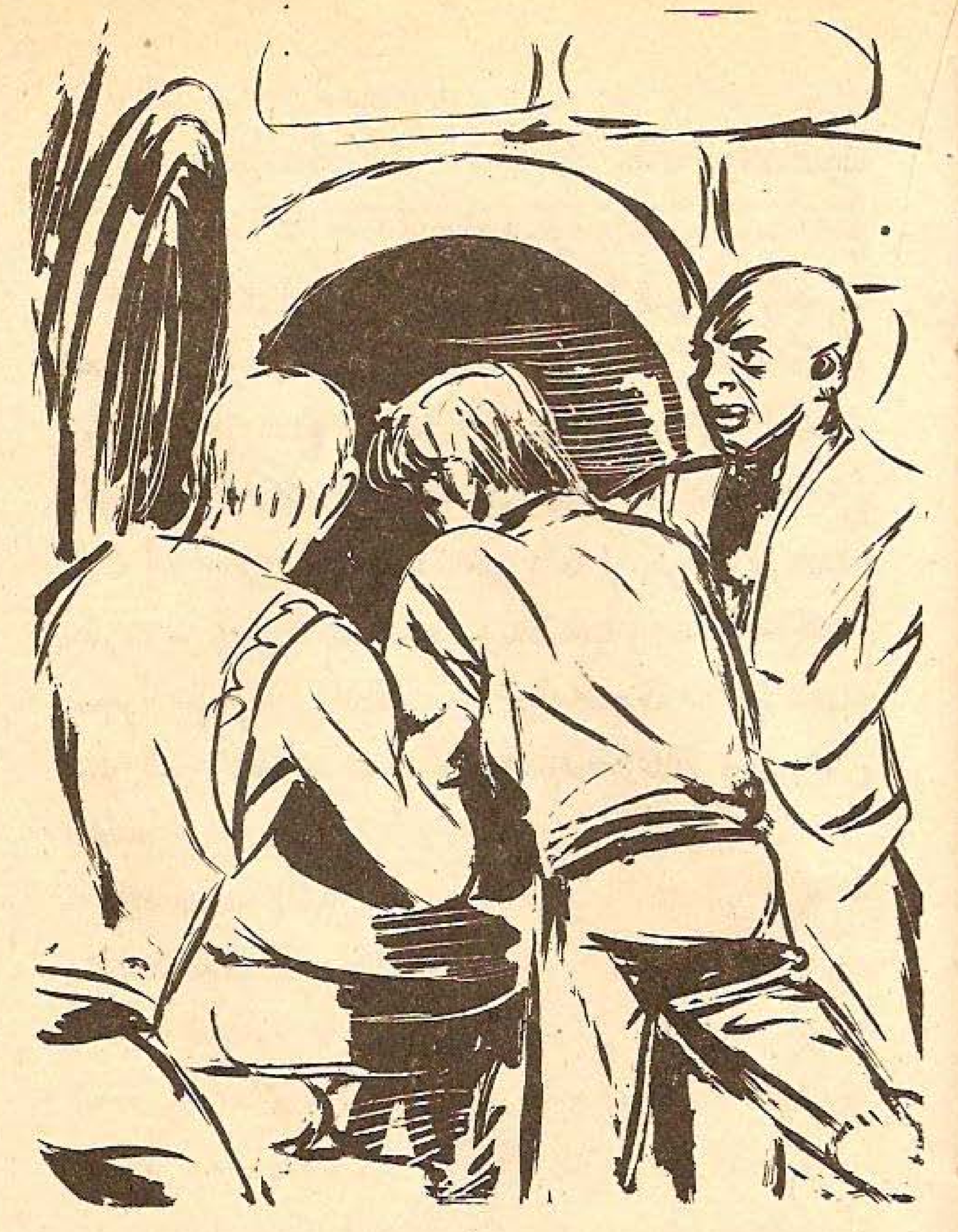
ضغط زرّ جهازه ، فعاد الزَّنجيان اللذان اقتادا (شوكت) إلى الخارج ، وأمسكا (ممدوح) من ذراعيه فى قوة غير عادية ، وأبدل (جوران) وضع ساقيه ، وهو يرمق (ممدوح) بتلك النظرة الشبيهة بالصقر ، قائلًا :

ــ لقد سبَّبت لى الكثير من المتاعب أيها المصرى ، ولكننى أقدِّر ذكاءك وشجاعتك ؛ لذا فسأمنحك فرصة هى فى الواقع ضربٌ من المستحيل ، ولكن يرُوق لى أن أمنحك إيَّاها ، اختبارًا لشجاعتك ، وإشباعًا لهوايتى المفضَّلة فى استخدام الحِيَل والخداع ، واختبار آثارها على أشخاص مثلك .. ولو نجوت من اختبارى هذا ، فسأسمح لك بمغادرة الجزيرة ، دون أن يلحق بك أدنى أذى ، أما لو فشلت فى الاختبار ، فسيكون الطبيعىّ هو أن تموت ، ولكننى أتمنَّى أن تكون شديد الاحتمال والصلابة ، حتى لا تنتهى اللُّعبة بسرعة .

ممدوح :

ــ أأنت رجل ممن يحفظون وعودهم ؟

جوران :



ودفع الحارسان (ممدوح) عَبْرَ الكُوَّة فى عنف ، فوجد نفسه ينزلق على جدار صخرى خشن

ـــ بالتأكيد ، ولكن ينبغى أن تعلم أنك لن تخرج من تلك التجربة كما دخلتها أبدًا ، فإما أن تصبح رجلًا آخر ، نسى كل ما سمعه هنا ، حتى أنك لن تبلغ الشاطئ ، حتى تسأل نفسك ما الذى أتى بك إلى هنا ، أو تموت ، وفى كل الأحوال لن تمثّل أى خطر بالنسبة إلىَّ .

صحب الزّنجيان (ممدوح) عَبْرَ ممر طويل ، امتلأ بأبواب مغلقة ، حتى بلغوا بابًا من الفولاذ السميك ، تتوسّطه عجلة معدنية ، تشبه عجلة قيادة السفن ، أدارها أحد الحارسين ، فانفتح الباب الفولاذى ، كاشفًا كُوَّة كبيرة مُظلمة ، فى جدار صخرى ضخم ، ودفع الحارسان (ممدوح) عَبْرَ الكُوَّة فى عُنف ، فوجد نفسه ينزلق على جدار صخرى خشن ، والحارسان يغلقان الباب الفولاذى خلفه ..

وراح (ممدوح) يزحف عَبْرَ المنزلق الصخرى الخشن ، وهو يتحسّس طريقه فى ظلام دامس ، وقد أدْمَتْ بروزات الصخر الحادَّة يديه ، حتى بدا له بصيص من الضوء ، يأتى عَبْرَ فتحة مغطَّاة بزجاج سميك ، رأى (ممدوح) خلفها ما يشبه حديقة صغيرة خضراء ، وقرَّر على الفور تحطيم ذلك الزجاج بأى ثمن ، على الرغم من أن (جوران) قد جرَّده من مسدسه ..

ولكن أسلحته لم تنفد بعد ..

لقد احتفظ بسكِّين صغير ، داخل نعل حذائه ، ولقد تناوله وراح يمرِّر حدَّهُ على حافَة الزجاج فى قوة وإصرار ، وهو يدفع الزجاج بيديه فى قوة ، بين حين وآخر دون جدوَى ، وتصبَّب العرق على وجهه غزيرًا ، وهو يكرِّر هذه العملية مرَّات ومرَّات ، حتى انخلع الزجاج ، فأسرع (ممدوح) يعبُر الفتحة ، وهو يأمل أن يكون قد اجتاز أهم عقبة فى طريقه ، إلا أنه لم يلبث أن فوجئ بأن الحديقة التى رآها لم تكن سوى خداع بصرى من حِيَلِ (جوران) ، وبدلًا منها وجد أمامه جدارًا صخريًّا مسدودًا ، وانطلقت من حوله ضحكة ساخرة ، تشبه تلك التى سمعها ، عندما همَّ بمصافحة تمثال (جوران) الشمعى ..

لقد بدأت اللُّعبة ..

لُعبة الموت ..

* * *



١٤ ـ ضحكات الشيطان ..

شعر (ممدوح) بغضب هائل ، وهو يلقِى سكِّينه نحو الجدار الصخرى فى عنف ، وهو ينقم نقمة شديدة على (جوران) ، ولكن لدهشته الشديدة ، غاص السكِّين داخل الجدار الصخرى حتى منتصفه ، مما جعله ينحنى فى سرعة ، ويدفع الجدار بيديه فى قوة ، فاخترقت يداه الجدار ، وعَبَرته إلى فراغ خلفه ، فلم يكن الجدار نفسه سوى حيلة خداعية جديدة من حِيَلِ (جوران) ..

وراح (ممدوح) يزحف على يديه وركبتيه عَبْرَ الفتحة الأسطوانية ، خلف الجدار الصلصالى الزائف ، وسط ظلام دامس آخر ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بآلام مُبرِّحة فى يديه وركبتيه ، وكشف أن الممر مغطًّى بشظايا زجاجية حادَّة صغيرة ، وراحت الدماء تنزف من يديه وركبتيه ، ولكن جروحه هذه لم تسلمه لليأس ، بل راح ينتزع الشظايا الزجاجية من جراحه فى صبر وأناة ، ومزَّق قميصه ليلُفّ بعض أجزائه على مواضع الجراح ، وقد قرَّر مواصلة طريقه ، مهما كان

الثمن ، إلى أن شعر أنه قد قطع مسافة طويلة ، دون أن ينتهى به هذا الممر الأسطوانى إلى مخرج ما ، ودون أن تصادفه نقطة ضوء واحدة ، ولو على سبيل الخداع ، وآلامه تزداد حِدَّة وشِدَّة ، ولكن فجأة بدت يداه تغوصان فى أرض طينيَّة لزجة ، فى حين لفح وجهه تيار هوائى بارد ، وعلى الرغم من الظلام الدامس المحيط به لم يسمح له برؤية ما حوله ، إلا أن ذلك التغيير ـــ أيًا كان ـــ بعثَ فى نفسه الأمل ، فزاد من سرعة حركته ، متجاهلًا آلامه ، وأدرك أنه قد اجتاز الممرّ الأسطوانى إلى فراغ أكبر ، له أرضية طينية لزجة ، بدت له بعد شظايا الزجاج أشبه بفراش وثير ، ألقَى نفسه عليه ، وهو يلهث ، وقد تضاعفت آلامه ، حتى حصل على قسط قصير من الراحة ، فأجبر نفسه على النهوض ، وأسعده أنه يستطيع السَّير معتدلًا ، على الرغم من ثقل حركته ، وغوص قدميه وجزء من ساقيه فى الأرض الموحلة ، فلقد بدا له هذا أكثر راحة بكثير ، من زحفه داخل الممر الممتلئ بشظايا الزجاج ، وإن راح يتساءل عمَّا ينتظره فى المرحلة القادمة من اللُّعبة ، وإلى أين يسير ، وكم مضى عليه من الوقت ..

وفجأة ، غاص ساقاه أكثر فى الطين ، ومع مواصلة سيره ،

راح مستوى الطين يرتفع ، وعمق الأرض يزداد ، حتى وصل الوحل إلى وسطه ، وأدرك عندئذ أنه ينزلق فى خُدعة جديدة من خدع البروفيسير (جوران) ، وأنه لن يلبث أن يجد نفسه وقد تغطَّى تمامًا بالوحل ، ولكنه فى اللحظة التى كشف فيها هذا ، كشف فى الوقت ذاته أنه لم يَعُدْ هناك مجال للتراجع ، فقد راح جسده يغوص فى الأرض الموحِلَة ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه ضحكة (جوران) تجلجل فى المكان ..

لقد وقع فى الفخِّ بالفعل ..

وبسرعة ، حلَّ (ممدوح) حزامه من حول وسطه ، وقد وصل الوحل إلى كتفيه ، وراح يبتلعه فى شراهة ، ونزع (ممدوح) غطاء جرابين داخليين فى الحزام ، وتناول منهما أنبوبتين صغيرتين من البلاستيك ، انتزع غطاءهما ، ودفعهما فى فتحتى أنفه ، وغاص فى أعماق الوحل ، وراح يسبح بكل قواه ، أملًا فى أن يبلغ أرضًا يابسة ، قبل أن تنفد كمية الأكسوجين الضئيلة ، التى يحصل عليها من الأنبوبتين ، ويموت مختنقًا فى مقبرة من الوحل ..

وبدت له الدقائق والثوانى كساعات طويلة ، وراحت كمية الأكسوجين تنفد فى سرعة ، حتى انتهت ، ولم يَعُدْ هناك مفرٌّ من الموت خنقًا ..

ولكن إرادة (ممدوح) الحديدية دفعته لمواصلة السباحة فى حزم وإصرار ، حتى طَفَا جسده بغتة ، ولمست يداه أرضًا صلبة ، فتشبَّث بها فى قوة ، ورفع جسده إلى اليابسة ، ومنحه حُبّ الحياة قوة فوق طبيعية ، حتى استلقى على ظهره على اليابسة ، وانتزع الأنبوبين من أنفه ، وراح يستنشق الهواء فى قوة ولهفة ، حتى شبعت رئتاه ، فأخذ يمسح وجهه وعينيه من آثار الوحل ، الذى لوَّث جسده ، وعندما فتح عينيه ، غشى ضوء النهار بصره لأوَّل مرَّة ، منذ بدأت اللُّعبة الخطرة ، فنهض ليجد نفسه واقفًا فوق أرض عُشبيَّة ضيقة ، محاطة بسياج سميك من أسلاك قوية متشابكة ، فسار بمحاذاة الأسلاك ، حتى انتهى به الأمر إلى مغارة جبلية تسدُّ الطريق ، لم يتردَّد فى اقتحامها ، بعد أن أيقن من أنه لن يجد داخلها أسوأ مما تعرَّض له بالفعل ، ولكنه لم يكد يعبُر مدخل المغارة ، حتى سمع صوت إغلاق باب معدنى خلفه فى صرير مرتفع ، فاستدار ليجد مدخل المغارة وقد أُغلِق خلفه تمامًا ، إلَّا أنه قال فى صلابة ، وبلهجة تحمل شيئًا من السُّخرية :

ـــ لا بأس يا بروفيسير (جوران) .. أغلق ما شئت من أبواب ، فلست أنوى التراجع على أيَّة حال .

واصل سيره داخل المغارة ، حتى قادته قدماه إلى ممرٍّ ترابى

ضيق ، يتميَّز بوجود قدْر كافٍ من الرؤية ، ولم يكد يدلف إلى الممرّ ، حتى انسدلت خلفه شبكة من السّلك السميك ، فاندفع يواصل طريقه بمزيد من الإصرار ، وقد قرَّر ألا يتراجع أبدًا ، بعد كل ما بذله من جهد ومشقَّة ، حتى أدرك فجأة طبيعة الفخ الجديد ، فمن فتحات صغيرة على جانبى الممر ، اندفعت مئات من حشرات شبيهة بالعنكبوت ، ولكنها وردية اللون ، أكبر حجمًا ، تنتهى أطرافها بنقاط شديدة الاحمرار ، وتبرز من رءُوسها زوائد أشبه بالإبر الحادَّة الرفيعة ، وراحت تلك الحشرات تملأ الممرّ فى سرعة ..

وتسمَّر (ممدوح) فى مكانه ، وهو يتطلَّع إلى تلك الحشرات ، وعقله يسترجع كل ما لديه من معلومات فى سرعة ، قبل أن يُقْدِم على مواجهة الحشرات الغامضة المخيفة ..

ثم تذكَّر ما لديه من معلومات عن تلك الحشرة ، التى قرأ مقالًا عنها يومًا ، فى واحدة من المجلَّات العلمية ، باعتبارها حشرة نادرة ، تسكن بقعة نائية من أطراف (منغوليا) ، ويُطلق عليها المتخصِّصون اسم (الحشرة المدمِّرة) ؛ لأنها تطلق من إبرتيها الرفيعتين نوعًا خاصًّا من السُّمّ ، يدمِّر الخلايا

العصبيّة ، وبالذات خلايا الذاكرة ، بحيث يفقد الإنسان ذاكرته تمامًا ، وإلى الأبد ..

هذا ما قصده (جوران) إذن ، عندما أخبره أن نجاته لن تُبْقِي عليه كما هو ، وأنها ستجعله رجلًا بلا ذاكرة ..

وبكل غضبه صرخ (ممدوح) :

ـــ أين ضحكتك الشيطانية هذه المرَّة يا (جوران) ؟.. أين ؟

لقد أدرك الآن طبيعة الفخّ الجديد ..

الفخُّ المدمِّر ..

* * *



١٥ ـــ نهاية الشيطان ..

قرَّر (ممدوح) أن يواصل سيره ، مهما بلغت المخاطرة ، فراح يسير فى بطء وحذر ، فى منتصف الممرّ ، وهو يراقب تلك الحشرات ، التى تتقافز حوله ، وهو لا يملك سوى أن يطأ أقربها إليه بقدميه ، وإن لم يصنع ذلك فارقًا ، مع ذلك العدد الهائل منها ، وجسده يرتجف كلما قفزت إحدى تلك الحشرات إلى جواره ، وتصوَّر أنها تستطيع حقنه بسمّها ، وتدمير ذاكرته إلى الأبد ..

وفجأة ، انفتح غطاء معدنى فى نهاية الممرّ الضيق ، على بعد متر ونصف منه ، وأطلّ منه وجه شخص يعرفه جيِّدًا .

وجه (شوكت) الذى هتف فى دهشة :

ـــ سيادة المقدّم (ممدوح) .. حمدًا لله أننا قد عثرنا عليك .

أشار إليه (ممدوح) ليبقى فى مكانه ، وسأله وهو يدير عينيه فى الحشرات التى تحيط به فى حذَر :

ـــ أمعَكَ قدَّاحة ؟

أجابه (شوكت) بالإيجاب ، فقال (ممدوح) :

ـــ حسنًا .. ألقِ بها إلىَّ .

ألقَى إليه (شوكت) القدَّاحة ، فاستخدمها (ممدوح) لحرق كل حشرة تقترب منه ، حتى بلغ أخيرًا تلك الفتحة ، التى يقف عندها (شوكت) وخطيبته ، فوثب داخلها ، وأسرع (شوكت) يغلق بابها خلفه ، فى حين ألقَى (ممدوح) جسده أرضًا ، وراح يلهث فى قوة ، وكأنما ركض لعشرات الكيلومترات ، والعرق يتصبَّب على وجهه غزيرًا ، و (شوكت) و (جوناز) يتطلَّعان إليه فى إشفاق ، وقد آلمتهما تلك الحالة الرثَّة ، التى رأياه عليها ، فقد تمزَّقت ثيابه ، ولطَّخ الوحل جسده ، الذى اكتظَّ بجروح شتَّى ، وغمغم (شوكت) فى أسًى :

ـــ من الواضح أنك قد مررت بتجربة قاسية للغاية .

وعلى الرغم من حالته المزرية ، ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ لا يقلقكما هذا كثيرًا ، فلقد اعتدت مثل هذه المواقف .. المهم كيف نجوتما من براثن الشيطان (جوران) ؟ وكيف بلغتما هذا المكان ؟.

شوكت :

ـــ لقد أنقذتنى (جوناز) من الموت فى الغرفة البرتقالية ،

بأن غافلت الحرَّاس ، وقتلتهم ، واستولت على مفاتيح الغرفة ، وأطلقت سراحِى ، ثم أخبرتنى عن ذلك الاختبار المروِّع ، الذى يتسلَّى به (جوران) مع أعدائه ، وكيف أنه دفعك دفعًا لخوضه ، فى حين لم ينج منه أي مخلوق قَطُّ ، وقرَّرنا أن نبحث عنك ، مهما كان الثمن .

قال (ممدوح) فى مرح ، لم تهزمه الصِّعاب :

ـــ وهأنتذا تجدنى سليمًا معافًى ، ولكننى أعتذر لعدم تأنُّقى ، فلم يكن لدىَّ الوقت الكافى لأهتم بمثل هذه الأمور ، وبالمناسبة ، ما آخر أخبار صديقنا (جوران) ؟

أجابه (شوكت) فى قلق :

ـــ إنه يستعد لإطلاق صواريخ (تى ــ إى ــ ٢٠٠٠) ، التى استولى عليها ، على مدينة (يارلكسير) .

وقالت (جوناز) :

ـــ وهو يشعر بالقلق ، بعد أن حامت بعض الزوارق وطائرات الهليوكوبتر العسكرية التركية حول الجزيرة .

شوكت :

ـــ أعتقد أن القاعدة العسكرية قد شعرت بالقلق لاختفاء كلينا فى الجزيرة ، ثم إننى قد استعنت بجهاز لاسلكى ، أحضرته

لى (جوناز) ، وحاولتُ إرسال بعض الإشارات إلى القاعدة ، إلا أننى عجزت عن ذلك ، بسبب بؤرة شوشرة مجهولة على الجزيرة ، ولكننى أظن أن القاعدة قد التقطت شيئًا ما .

ممدوح :

ـ وربَّما فعل هو ، ودفعه هذا إلى التعجيل بتنفيذ خُطَّته الانتقامية ، وربَّما كان هذا ما شغله عن إسماعى ضحكته الشيطانية ، فى كهف الحشرات ، فلقد شغله القلق على مخطَّطه ، بعد انتباه القاعدة العسكرية إليه .

هتفت (جوناز) فى جَزَع :

ـ ولكن الوقت صار أضيق مما ينبغى ، فهم يُعِدُّون الصواريخ للانطلاق ، فإما أن نهاجم الآن .. أو تضيع الفرصة .. إلى الأبد ..

* * *

بوساطة سكِّينين فحسب ، هاجم (ممدوح) و (شوكت) اثنين من حرَّاس غرفة العمليات ، فى قصر (جوران) ، واستوليا على أسلحتهما ، وأمكنهما منح (جوناز) بندقية سريعة الطلقات ، فى الوقت الذى بدأ فيه (جوران) العدَّ التنازلىَّ لإطلاق الصواريخ ، داخل حجرة العمليات ..

وفجأة ، اقتحم (ممدوح) و (شوكت) و (جوناز) المكان ، وهم يطلقون النيران فى كل الاتجاهات ، و (ممدوح) يحطِّم كل ما يعترض طريقه من أجهزة ومعدَّات ، ثم اندفع نحو شاشة التحكُّم ، وراح يضغط أزرارها فى سرعة وعصبيَّة ، أمام عيون العاملين فى المكان ، الذين أصابهم مزيج من الفزع والذُّهول ، وتحت حماية نيران (شوكت) و (جوناز) ، حتى توقَّف العدّ التَّنازلى عند الرقم (واحد) ، فتنفَّس (ممدوح) الصُّعَدَاء ، فى حين صاح (جوران) فى وجهه مُحْنَقًا :

ـ أحمق أنت ، لو تصوَّرت أنك تستطيع إيقاف انتقامى .. إنك لا تملك بكل أسلحتك سوى تأجيل موعد التنفيذ ، ولا تنسَ أنك مازلت داخل جزيرتى ، ووسط مئات من الرجال ، الذين يعملون لخدمتى .. لست أدرى كيف نجوت من اختبارى ، واحتفظت بذاكرتك فى الوقت ذاته ، ولكن موتكم جميعًا صار أمرًا حتميًا الآن ، وبعدها سأنفِّذ انتقامى بحذافيره .

أدار (ممدوح) فُوَّهة مدفعه إلى كمبيوتر التحكُّم ، وحوَّله برصاصاته إلى شظايا ، ثم التفت إلى (جوران) ، قائلًا :

ـ أظن موعد التنفيذ سيتأخَّر كثيرًا ، وأن تلك المهلة

ستكفى ليهاجم الجيش التركى جزيرتك ، ويضع نهاية لجنونك ودمويتك .

احتقن وجه (جوران) فى شدَّة ، وهو يهتف :

ـــ لن يحدث هذا .. لن يحدث أبدًا .. لن يجرؤ مخلوق على مهاجمة جزيرتى .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ هل تراهن ؟.. لقد أصبحت مسألة وقت فحسب يا رجل .. انظر إلى سماء جزيرتك وشواطئها ، وستدرك صحة ما أقول .. والآن هيًا معى إلى الخارج ، وحذارِ من الإقدام على أيَّة حماقة ، فلن أتردَّد لحظة ، ولن أشعر بالأسف ، عندما أطلق كل شحنة رصاصات مدفعى على رأسك الشرِّير .

أطاعه (جوران) صاغرًا ، فى حين اندفعت (جوناز) نحو أحد أجهزة اللاسلكى ، لتتصل بالقاعدة العسكرية ، ووقف (شوكت) على الجانب الآخر من الحجرة ، يصوِّب مدفعه الآلى إلى الجميع ، وصحب (ممدوح) (جوران) إلى حيث البابُ الفولاذى السميك ، ذو العجلة الشبيهة بعجلة قيادة السفن ، وقال له فى صرامة :

ـــ هيًا .. أدِرِ العجلة ، وافتح الباب .

أدرك (جوران) مايرمى إليه (ممدوح) ، فهتف مذعورًا :

ـــ لا .. إنك لن تدفعنى لخوض الاختبار عَنْوَة .

ممدوح :

ـــ لماذا يا بروفيسير ؟.. أليس من حقِّك أن تختبر لُعبتك بنفسك ، بدلًا من أن تقف هنا دَوْمًا موقف المتفرِّج ؟.. إنه لمن المثير حقًّا أن أشاهدك تخوض التجربة ، وتتذوَّق بعضًا من الآلام ، التى سقيتها للآخرين ، والتى مررت بها أنا .

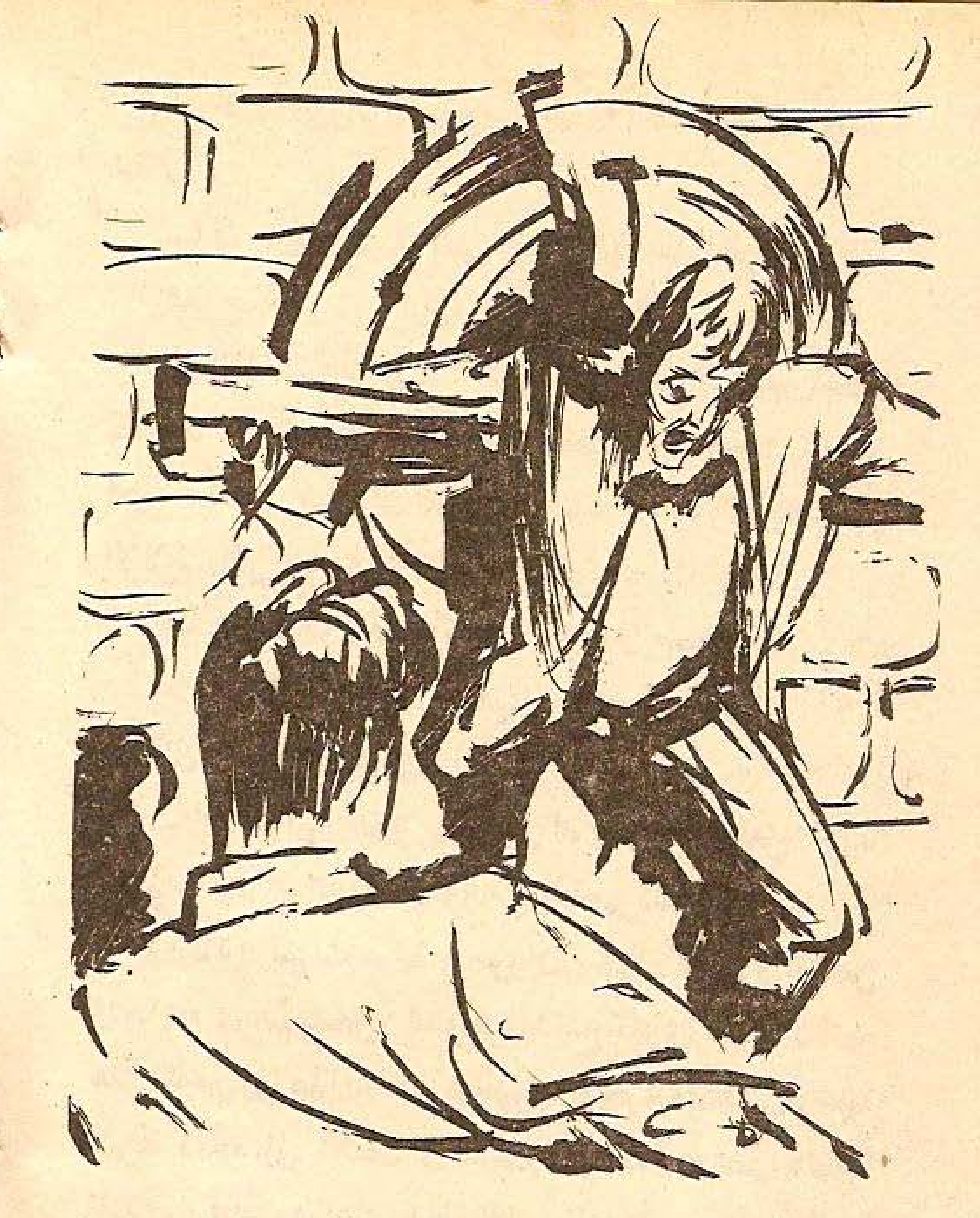
جثا (جوران) على ركبتيه ، هاتفًا فى ضراعة :

ـــ لا تفعل بى هذا .. أرجوك .. أتوسَّل إليك .

قال (ممدوح) فى ازدراء :

ـــ اطمئن أيها الحقير .. لم أكن أنوى حقًّا أن أفعل ، وإنما أردتك فقط أن تتذوَّق شعور من يقتحم ذلك الجحيم .

وفجأة ، قفزت سبَّابة (جوران) نحو ذلك الزِّرّ الخاص فى ساعته ، وهمَّ بصعق (ممدوح) بشعاع كهربى ، لولا أن انتبه هذا الأخير إلى هذا ، فأسرع يضربه بمؤخرة مدفعه فى وجهه ضربة دفعته إلى الخلف فى عُنف ، وجعلته يرتطم بالباب المعدنى ، فتعلَّق ذراعاه بعجلة الباب المعدنية ، ومال معصمه



فأسرع بضربه بمؤخرة مدفعه فى وجهه ضربة دفعته إلى الخلف فى عُنف ، وجعلته يرتطم بالباب المعدنى ..

ليواجه جسده ، وانطلق ذلك الشعاع الكهْربى من ساعته ليصعقه فى قوة ..

وانتفض جسد (جوران) فى عُنف ، وهو معلَّق فى العجلة الدائرية ، حتى خمدت حركته تمامًا ، ولفظ أنفاسه الأخيرة بسلاحه الشخصى ..

وفى نفس اللحظة ، ساد المكان هرج ومرج ، ورأى (ممدوح) العشرات من قوات المظلات والقوات الخاصة التركية يقتحمون المكان ، ووجد أحدهم يصوِّب إليه مدفعه ، آمرًا إيَّاه بالاستسلام ، لولا أن وصل (شوكت) فى هذه اللحظة ، وهتف بالرجل :

ـــ ليس هذا .. إنه يعمل فى صفوفنا .

ثم أدار عينيه إلى (جوران) ، الذى استحال جسده إلى اللون الأزرق ، واستطرد :

ـــ يبدو أن الشيطان قد لَقِىَ المصير الذى يستحقّه .

أطلق (ممدوح) زفرة قصيرة من صدره ، وقال :

ـــ إنه المصير الذى يستحقّه كل عدوّ للبشرية .

قال (شوكت) :

ـــ لقد اقتحمت قواتنا الجزيرة كما ترى ، وقبل حتى أن تبدأ

(جوناز) فى إرسال إشارتها ، ويبدو أن القاعدة قد تلقَّت إشارتى الأولى .

قال (ممدوح) :

ــ هذا يضع نهاية لمستعمرة (جوران) ، وأعتقد أننى أستحق الآن قدرًا من الراحة ، كما يستحق الخبراء والفنيُّون ، المصريون والأتراك أن يستمتعوا بنجاح تجاربهم القادمة ، على صواريخ (ق ــ إى ــ ٢٠٠٠) .

ثم ابتسم وهو يتطلَّع إلى (جوناز) ، التى أتت لتقف إلى جوار (شوكت) ، واستطرد :

ــ ومن حقِّكما أن ينعم كل منكما بالآخر ، بعد طول فراق ، وبعد أن انتهى العدوّ .. العدوّ الغامض ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

العدو الغامض

راح (ممدوح) يزحف على يديه وركبتيه ، داخل الممر الأسطوانى ، القائم خلف الجدار الصلصالى الزائف ، وفجأة شعر بآلام مُبرِّحة فى يديه وركبتيه ، أجبرته على التوقُّف عن الزحف ..

المؤلف



ا . شريف شوق

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

العدد القادم صراع الجواسيس

الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم